

## الوضع فى الحديث...

الفصل الأول: ابتداء الوضع وأسبابه.

الفصل الثانى: جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم فى مقاومة الوضع وحفظ الحديث.

الفصل الثالث: آراء بعض المستشرقين وأشباعهم فى السنة ونقدها.

الفصل الرابع: أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث.

obeikandi.com

## الفصل الأول

### ابتداء الوضع وأسبابه

أولاً- ابتداء الوضع:

بقى الحديث النبوى صافياً لا يعتريه الكذب، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب، وقبل أن يندس فى صفوفها أهل المصالح والأهواء، وكانت البسادة الأولى التى ترتبت عليها الاضطرابات الكثيرة فى القرن الهجرى الأول هى فتنة عثمان رضى الله عنه واستشهاده، فقد هزت العالم الإسلامى هزة عظيمة، وأورثت الأمة عواقب وخيمة، امتدت آثارها إلى يومنا، ثم اجتمعت - بعد الفتنة - كلمة المسلمين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه، إلا أن الأحداث كانت أقوى من أن تفسح للهدوء والسلام سبيلهما إلى الدولة آنذاك، فحصل انقسام كبير فى صفوف الأمة، تجسم فى معسكر أمير المؤمنين على الذى انطوى تحت جناحه أهل الحجاز والعراق، ومعسكر أمير الشام معاوية الذى انضم إليه أكثر أهلها وأهل مصر.

وقد جر هذا الانقسام على الأمة الحروب الطاحنة، وما لبث أن انتهى بالتحكيم الذى كان سبباً لظهور فرق سياسية مختلفة<sup>(١)</sup>، فالجمهور يؤيدون علياً رضى الله عنه، لأنه الخليفة الذى بايعته الأمة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، وحزب معاوية قام مطالباً بدم عثمان، وانتهى به الأمر إلى طلب الخلافة، وممارسة الحكم فعلاً بعد التحكيم، والخوارج قوم من شيعة أمير المؤمنين على انشقوا عنه لأنه قبل التحكيم ونادوا (لا حكم إلا لله)، ونقموا على معاوية لأنه يريد أن يتولى أمر المؤمنين، وهذا لا يكون إلا بالشورى بينهم، وكان هؤلاء أشداء أقوياء، جلهم من العرب

(١) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ص ٢٦٨ ج١، والتبصير فى الدين ص ٦، وفجر الإسلام ص ٢٥٦.

الجفاة القساء، وكان لأمير المؤمنين على رضى الله عنه معهم مواقع كثيرة وحروب دامية مدة خلافته، كما كان لهم أثر بعيد فى إقلاق مضاجع خلفاء بنى أمية طيلة الحكم الأموى.

وبعد استشهاد على رضى الله عنه قام بعض شيعته يطالبون بحقهم فى الخلافة.

وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التى اتخذت شكلاً دينياً كان له أبلغ الأثر فى قيام المذاهب الدينية فى الإسلام<sup>(١)</sup>. وقد حاول كل حزب أن يدعى ما يدعى بالقرآن والسنة، ومن البديهي ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه فى نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فتأول بعضهم القرآن، وفسروا بعض نصوص الحديث بما لا تحتمله، إلا أن هذا لم يحقق ما يرمون إليه، ولم يجد بعضهم إلى تحريف القرآن أو تأويله سبيلاً، لكثرة حفاظه، فتناولوا السنة بالتحريف وزادوا عليها، ووضعوا على رسول الله ما لم يقل<sup>(٢)</sup>، ونشطت حركة الوضع مع الزمن، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع، وظهرت أحاديث موضوعة فى فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب، ثم ظهرت أحاديث صريحة فى دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية، وكانت الأحاديث الموضوعية تولد مع ظهور الفرق، فينبغى من يضع أحاديث تنتقض تلك الفرق، كما يقف الواضعون من الخصوم للدفاع عنها وهكذا، حتى تكونت مجموعة من الأحاديث الموضوعية التى كشف عنها جهابذة هذا العلم ورجاله، ولم يقتصر الوضع على فضائل الأشخاص، ودعم الآراء والأفكار العقائدية والمذاهب السياسية، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث، وكادت الأحاديث الموضوعية تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة، فوضعت أحاديث فى الفضائل والمثالب، وأحاديث فى مناقب البلدان والأيام، وأخرى فى العبادات المختلفة وفى المعاملات والأطعمة والزهد، والذكر والدعاء، وفى الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها.

(١) انظر: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٨٩.

(٢) انظر: اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج٢.

ويجدد بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته في هذا القرن، لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجري الأول بقليل، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لكثرة الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه، ولم يؤخذوا بأراجيف الكذابين، وأخبار الوضاعين، هذا إلى أن أسباب الوضع في ذلك القرن لم تكن كثيرة، وكانت الأحاديث الموضوعة تزداد بازدياد البدع والفتن، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلمائهم في معزل عنها.

ويصور لنا الإمام ابن تيمية ذلك في قوله: «والصحابه رضى الله عنهم كانوا أقل فتناً من سائر من بعدهم، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف، ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لعلی، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته أو إلهيته<sup>(١)</sup>، ثم لما كان آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية. ثم لما كان في أول عصر التابعين، في أواخر الخلافة الأموية، حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك، وكذلك فتن السيف، فإن الناس كانوا في ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدو، فلما مات معاوية قتل الحسين، وحوصر ابن الزبير بمكة، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة<sup>(٢)</sup>، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة، ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة، وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه محمد بن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة، فهذا كله بعد موت معاوية، ثم جرت فتنة بن الملهب بخراسان، وقتل زيد بن علي بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها<sup>(٣)</sup>.

(١) على اختلاف الرافضة في ذلك بحسب فرقهم وما ذهب إليه كل فرقة منهم.

(٢) وقعة الحرة مشهورة كانت سنة ثلاث وستين أيام خلافة يزيد بن معاوية، وسميت بذلك نسبة إلى «حرة واقم» قرب المدينة. انظر: هامش صفحة: ٢٩٣ من المنتقى من منهاج الاعتدال.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦، ٣٨٧.

وعلى هذا فإننا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث على لسان رسول الله ﷺ، ولا يعقل أن يتصور مسلم الصحابة الأجلاء، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ودافعوا عن رسول الله ﷺ، وهجروا أوطانهم وقاسوا ألوان العذاب، ومرارة العيش استجابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يعقل أن يتصورهم يفترون ويكذبون على رسول الله ﷺ. وهم الذين نشؤوا في رعايته، وتخرجوا في جامعته، ونهلوا من معينه، وتأسوا بعمله، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية، لذلك ننفي إقدام الصحابة الكرام على الكذب على رسول الله.

وإن ما نقله بعض أهل الأهواء - من أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يضعون في على عليه السلام الأخبار القبيحة التي تقتضى الطعن فيه والبراء منه، إرضاء لمعاوية الذي (جعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب في مثله فاختلفوا ما أرضاه. منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة ابن الزبير<sup>(١)</sup>) إن ما نقله هؤلاء وغيرهم لا يرقى إلى الصحة، وتاريخ الصحابة ينفي هذه الادعاءات ويدحض مثل هذه المزاعم.

وإن الواقع التاريخي في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ينفي كل افتراء على الصحابة في هذا الموضوع، والصحابة أسمى بكثير من أن يخوضوا في الكذب والوضع، وهم الذين سمعوا من رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة قوله: «مَنْ تَعَمَّدَ عَلِيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعْهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ: «إِنْ كَذَبَ عَلِيٌّ لَيْسَ كَذِبٌ عَلَيَّ أَحَدٌ، مَنْ كَذَبَ عَلِيٌّ فَلْيَتَّبِعْهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>، فلا يعقل أن يقدم أحد من الصحابة - بعد أن عرف جزاء الكذب على رسول الله - على وضع واختلاق ما لم

(١) نقله ابن أبي الحديد عن شيخة أبي جعفر الإسكافي، انظر: شرح نهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٧ ج١ وقد رددنا رداً مفصلاً على هذا الادعاء في الفصل الثاني من (أبي هريرة)، وانظر كتابنا «أبو هريرة راوية الإسلام».

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني وأخرج نحوه الإمام أحمد انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢.

(٣) أخرجه الشيخان والترمذي عن المغيرة بن شعبة، انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢: ب.

يقله ﷺ، ولا يعقل أن يجازف أحد منهم بالنور النبوي الذي خالط قلبه وروحه، فيطفئه بوضع حديث في سبيل دعم فكرة أو للانتصار لحزب أو للتقرب من شخص، وإن أية محاولة في سبيل إثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل، لكثرة الأدلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصي، واعتزال أكثرهم الفتن وابتعادهم عن الضلالات والبدع، بل إن الأدلة على أنهم كانوا حفظة للشريعة يذوبون عن السنة التحريف والتأويل أكثر من أن تحصى، ولو فرضنا جدلاً وقوع الوضع من بعض الصحابة - وهذا بعيد - فإن ذلك سينكشف أمره وينتقل إلينا كما انتقلت أخبار كثير من الحوادث الجليلة والدقيقة<sup>(١)</sup> ويقوى هذا عندنا، ذلك الوعى الرفيع الذى كان يتميز به الصحابة وكبار التابعين، إلى جانب رسوخهم فى الحديث النبوى الشريف، الذى يسهل عليهم معرفة الصحيح من الموضوع، وراء هذا كله جرأتهم المثالية فى الحق، وهى جرأة لم ترض لهم أن يسكتوا عن آباءهم وأعز الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء السبيل، ولم يكن يخيفهم آنذاك سلطان الحاكم، ولا نفوذ القوى، بل كثيراً ما كانوا يعترضون على الحكام والعلماء وغيرهم، يبينون وجه الحق، لا يخافون فيه لومة لائم. وإن التاريخ الإسلامى ليعتز بذلك الجيل الذى تمثل الإسلام، وعمل به فكان قدوة حسنة للأجيال التالية، وإن هذا كله ليدفع كل شبهة تحوم حول إيقاع الصحابة فى نار الوضع<sup>(٢)</sup>.

(١) وقد ذكر لنا المؤرخون والمحدثون حادثة واحدة كذب فيها رجل على رسول الله فكان مصيره الموت: أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً لبس حلة مثل حلة النبى ﷺ ثم أتى أهل بيت من المدينة فقال: إنه عليه الصلاة والسلام أمرنى أى أهل بيت من المدينة شئت استطلعت، فأعدوا له بيتاً وأرسلوا رسولاً إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه، فقال: لأبى بكر وعمر انطلقا إليه فإن وجدناه ميتاً قد كفيتماه، ولا أراكما إلا قد كفيتماه، فحرقاه، فأتياه فوجداه قد خرج من الليل بيول فلدغته حية فمات، فحرقاه بالنار ثم رجعا إليه ﷺ فأخبراه الخبر، فقال عليه السلام: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٤: ب. وفى سننه عطاء بن السائب قد اختلط. انظر: مجمع الزوائد ص ١٤٥ ج١.

(٢) لقد سبق أن بينت أن الصحابة كذبوا كذبون فى عهد الرسول وبعد وفاته فى بحث (تلقى الصحابة السنة عن الرسول الكريم) صفحة ٥٦ وكيف كانوا يصدق بعضهم بعضاً، وانظر: المحدث الفاضل ص ٣٢: ب - ٣٣: أ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢: أ.

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم فى الوضع ننفى عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضاً ونقرر أنه إذا حصل الوضع فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة التابعين وأتباع التابعين، الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء الشخصية على انتحال الكذب، ووضع الأحاديث على رسول الله ﷺ. وفى هذا العصر - عصر التابعين - كان الوضع أقل من الوضع فى عصر أتباع التابعين، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبنوا السقيم من الصحيح، ولعدم نفشى التحلل والكذب فى الأمة، لقربها من عصر الرسول ﷺ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته، محافظة على وصاياه تعمها التقوى والورع والخشية، كل هذا خف من انتشار الكذب والوضع، إلى جانب أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة فى نشأتها الأولى، ثم كثرت وازدادت فيما بعد.

ونرى الأحاديث الموضوعية قد ظهرت بكثرة فى العراق، حيث قامت أكثر الفتن والحوادث فى هذا الإقليم، كما نشأت بذور الفرق الدينية فيه، وكادت ثقة المحدثين تفقد بعلماء هذا القطر، لولا قيام نقاد الحديث ورجاله وعلمائه بالكشف عن الكذابين، وبيان أحوالهم وتبعهم.

وقد اشتهرت العراق بالوضع حتى سميت «دار الضرب» تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم، وكان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم، وكان مالك يقول: «نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم». وقال له عبد الرحمن بن مهدى: يا أبا عبد الله، سمعنا فى بلدكم - (المدنية) - أربعمئة حديث فى أربعين يوماً، ونحن (أى فى العراق) فى يوم واحد نسمع هذا كله، فقال له: يا عبد الرحمن، من أين لنا دار الضرب التى عندكم؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار»<sup>(١)</sup> وقال ابن شهاب: «يخرج الحديث

(١) المتلقى من منهاج السنة ص ٨٨، ثم قال ابن تيمية بعد هذا: (ومع هذا إنه كان فى الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير).

من عندنا شبراً فيعود في العراق ذراعاً»<sup>(١)</sup> وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لجماعة من أهل العراق جاؤوا يسألونه أن يحدثهم: «إن من أهل العراق قومًا يكذبون ويكذبون ويسخرون»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

## ثانياً: أسباب الوضع

ذكرت فيما سبق أن أسباب الوضع الرئيسية هي انقسام الأمة إلى أحزاب سياسية، اتخذت شكلاً دينياً، وحاول كل حزب أن يدعم موقفه ويؤيد آراءه بوضع أحاديث على لسان رسول الله ﷺ، ثم ازدادت الأسباب التي كان لها أثر بعيد في وضع الحديث، ونجمل هذه الأسباب فيما يلي:

### ١- الأحزاب السياسية:

كان أول ما ظهر عقب فتنة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه شيعة الإمام على، وحزب معاوية، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة «صفين»، وستناول بإيجاز أثر كل حزب في وضع الحديث.

#### (أ) أثر الشيعة وخصومهم في وضع الحديث:

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم. فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث»<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤسف له أن بعض أهل الأهواء وأعداء الإسلام اتخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أهوائهم، والوصول إلى مآربهم، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم، فنكب أهل البيت نكبات متوالية، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين على

(٢) طبقات ابن سعد ص ١٣ قسم ٢ ج ٤.

(١) ضحى الإسلام ص ١٥٢ ج ٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ص ٢٦ ج ٣.

رضى الله عنه وأحفاده، وسجل لهم التاريخ مآسى تتفطر لها القلوب، وتقشعر لها الأبدان، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الأحاديث في سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها<sup>(١)</sup> وأنا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد ابن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن علي وغيرهم من أهل البيت على الكذب على رسول الله جدهم وهم على جانب عظيم من الورع والتقوى والصفاء، وإن أهل البيت لأرفع بكثير من أن يكذبوا على رسول الله ﷺ، ولهذا أحببت أن أبين من أول هذا البحث أن أهل البيت براء من هذا كله، وإنما حمل إثم الوضع باسمهم من لف حولهم من شيعتهم، وكثر الوضع، وأسأوا إلى إمامهم على رضى الله عنه أكثر مما أحسنوا إليه بذلك، قال أبو الفرج بن الجوزى: «فضائل على الصحيحة كثيرة. غير أن الرافضة لا تقنع، فوضعت له ما يضع، لاما يرفع»<sup>(٢)</sup>.

وقد كثر الوضع منهم حتى أساءوا إلى سمعة العراق، وأصبح أهل المدينة يتوقون حديثهم، (وصار الأمر يشبهه على من لا يميز بين هذا وهذا، بمنزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون، فإنه يحترس منهم حتى يعرف الصدوق الثقة)<sup>(٣)</sup>، وقال أحد أصحاب على رضى الله عنه: «قاتلهم الله! أى علم أفسدوا»<sup>(٤)</sup>، وقال عامر الشعبي: «ما كُذِبَ على أحد فى هذه الأمة ما كُذِبَ على على رضى الله عنه»<sup>(٥)</sup>. ويقول ابن تيمية: «وكذبُ الرافضة مما يضرب به المثل»<sup>(٦)</sup>، وقال ابن المبارك: «الدين لأهل الحديث، والكلام والحيل لأهل الرأى، والكذب للرافضة»<sup>(٧)</sup>، و«سئل مالك رضى الله عنه عن الرافضة،

(١) من هذا ما روى عن أبى أنس الحرانى قال: قال المختار (الثقفى) لرجل من أصحاب الحديث -: ضع لى حديثاً عن النبى ﷺ أنه كائن بعده خليفة مطالباً له بعشرة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم فقال له الرجل: أما عن النبى ﷺ فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة، وحط لى من الثمن ما شئت، قال: عن النبى ﷺ أوكد، والعذاب عليه أشد. انظر اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج٢ نقله عن ابن الجوزى.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠. (٣) المرجع السابق ص ٨٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٣ ج١. (٥) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج١.

(٦، ٧) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠.

فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون<sup>(١)</sup>، وقال الشافعي: «لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة»<sup>(٢)</sup>، وقال يزيد بن هارون: «يكتب عن كل مبتدع - إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة، فإنهم يكذبون»<sup>(٣)</sup>، وقال حماد بن سلمة: «حدثني شيخ لهم تاب - يعني الرافضة - قال: كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا شيئاً - جعلناه حديثاً»<sup>(٤)</sup>.

وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة، وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التي كانت تزداد يوماً بعد يوم، فوضعوا أحاديث في مناقب علي رضي الله عنه، وأخرى وضعوها في مثالب معاوية والأمويين، وكتب الموضوعات مملوءة بأكاذيبهم، وسنذكر بعض ما وضعوا على سبيل المثال، ونبين أثره في الأحزاب المعادية لهم.

وكان يهيم الشيعة إثبات وصية الرسول ﷺ لعلي بالخلافة من بعده، فوضعوا كثيراً من الأحاديث في هذا، منها: «وصى، وموضع سري، وخليفتي في أهلي، وخير من أخلف بعدى - علي»<sup>(٥)</sup> و«يا علي، أخصك بالنبوة ولا نبى بعدى»<sup>(٦)</sup>. و«إن لكل نبي وصياً ووارثاً، وإن وصى ووارثي علي بن أبي طالب»<sup>(٧)</sup> وحديث «لما أن عرج بالنبي ﷺ أراه الله من العجائب في كل سماء، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه، وكذبه من كذبه من أهل مكة، وصدقه من صدقه، فعند ذلك انقض نجم من السماء، فقال النبي ﷺ: في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدى، وطلبوا ذلك النجم فوجدوه في دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال أهل مكة: ضل محمد وغوى، وهوى أهل بيته، ومال إلى ابن عمه، فعند ذلك نزلت

(١) (٢، ١) المتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١، وانظر: الكفاية ص ١٢٦.

(٢) المتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٢ وانظر: الجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ ج ١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨: ب واللائي المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢.

(٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩.

(٦) اللآلئ المصنوعة ص ٣٢٣ ج ١.

(٧) اللآلئ المصنوعة ص ٣ ج ١.

هذه السورة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾<sup>(١)</sup> [النجم: ١] وحديث «خُلِقْتُ أَنَا وَعَلَىٰ مِنْ نُورٍ، وَكُنَّا عَلَىٰ يَمِينِ الْعَرْشِ...»<sup>(٢)</sup> وافتنوا في وضع الأحاديث كما يحبون ويهوون، من ذلك «ستكون فتنة، فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين: كتاب الله وعلى بن أبي طالب... وهو خليفتي من بعدي»<sup>(٣)</sup>، و«من لم يقل على خير الناس فقد كفر»<sup>(٤)</sup>، و«النظر إلى على عبادة»<sup>(٥)</sup>، و«حب على يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب»<sup>(٦)</sup>، و«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حكمه، ويحيى في زهده، وموسى في بطشه - فلينظر إلى على»<sup>(٧)</sup>، و«من مات وفي قلبه بغض لعلى بن أبي طالب - فليمت يهودياً أو نصرانياً»<sup>(٨)</sup>، وحديث «مثلى مثل شجرة، أنا أصلها، وعلى فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيععة ورقها، فأى شيء يخرج من الطيب إلا الطيب»<sup>(٩)</sup>، وحديث: «من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أدخله الله النار»<sup>(١٠)</sup>، وحديث: «يا على، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولمحبى شيعتك»<sup>(١١)</sup>.

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخباراً بشعة تنال من أبى بكر وعمر وغيرهما يزعمون فيها إساءة هؤلاء الصحابة إلى على رضى الله عنه وأهله، وفي هذا يقول ابن أبى الحديد: (فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة... وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار... وجعل فى عنق على حبلاً يقاد به فكله لا أصل له عند أصحابنا ولا يثبت أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله)<sup>(١٢)</sup>.

(١) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعية ص ٣٦٩ وانظره فى المنتقى من منهاج السنة ص ٤٢٦ وفى رواية «فهو الوصى من بعدى»، واختراع أسطورة الوصى كانت من عند عبد الله بن سبأ انظر: هامش

الصفحة ٣٠٧ من المنتقى من منهاج السنة.

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٤٢.

(٤) الفوائد المجموعة ص ٣٤٧.

(٦، ٧) المرجع السابق ص ٣٦٧.

(٩) المرجع السابق ص ٣٧١.

(١١) المرجع السابق ص ٣٨٤.

(١٢) شرح نهج البلاغة ص ١٥٨، ١٥٩ ج ١.

لقد رأى بعض الوضاعين من الأحزاب الأخرى أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، فوضعوا مقابلهما أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية، من ذلك الحديث الموضوع: «لما عرج بي إلى السماء قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدى على بن أبى طالب، فارتجت السموات، وهتف بي الملائكة من كل جانب، يا محمد اقرأ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق<sup>(١)</sup>»، وما روى عن عبد الله بن جراد قال: «كنا عند رسول الله ﷺ، فأتى بفرس فركبه، ثم قال: يركب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدى، فركبه أبو بكر<sup>(٢)</sup>».

وحديث «أن أبا بكر قال للنبي ﷺ: إني كنت معك في الصف الأول، فكبرت وكبرت فاستفتحت بالحمد فقرأتها، فوسوس إلى شيء من الطهور فخرجت إلى باب المسجد، فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: ورائك، فالتفت، فإذا أنا بقدرح من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج وأعذب من الشهد، وألين من الزبد، عليه منديل أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله الصديق أبو بكر، فأخذت المنديل فوضعت على منكبي، وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء، ورددت المنديل على القدرح، ولحقتك وأنت راعع الركعة الأولى فتممت صلاتي معك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: أبشريا أبا بكر، الذى وضأك للصلاة جبريل، والذى مندلك ميكائيل، والذى مسك ركبتى حتى لحقت الصلاة إسرافيل<sup>(٣)</sup>» وحديث «إن الله جعل أبا بكر خليفتى على دين الله ووحىه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوه ترشدوا<sup>(٤)</sup>»، وحديث «عرج بي إلى السماء، فما مررت بسماء إلا وجدت فيها اسمى مكتوباً محمد رسول الله، وأبو بكر الصديق من خلفى<sup>(٥)</sup>»، وحديث «إن الله فى السماء يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق<sup>(٦)</sup>»، وحديث «لما أسرى بي رأيت

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٤٥ ج ١.

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٣٠، وقد روى نحو هذا لعلى بن أبى طالب وفيه: ذكر السطل والمنديل، والكل

كذب موضوع. انظر: الفوائد المجموعة ص ٣٣١.

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٢.

(٦) المرجع السابق ص ٣٣٥.

(٥) الفوائد المجموعة ص ٣٣٣.

فى السماء خيلا موقوفة مسرجة ملجمة . . . رؤوسها من الياقوت الأحمر . . . ذوات  
أجنحة، فقلت: لمن هذه؟ فقال جبريل: هذه لمحبي أبى بكر وعمر، يزورون الله  
عليها يوم القيامة<sup>(١)</sup>»، وحديث عن عبد الله بن أبى أوفى «رأيت النبى ﷺ متكئا  
على على، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا، فقال: يا أبا الحسن أحبهما فحبهما تدخل  
الجنة<sup>(٢)</sup>»، وحديث «إن فى السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب  
أبا بكر وعمر، وفى السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر  
وعمر<sup>(٣)</sup>»، وحديث «ما فى الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا  
الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين<sup>(٤)</sup>».

ووضع بعض الكذابين من حزب معاوية بعض الأحاديث، منها «أن جماعة من  
بنى هاشم سألوا رسول الله ﷺ أن يحول الكتابة من معاوية، فنزل الوحي  
بأختياره<sup>(٥)</sup>»، ووضعوا أحاديث مطولة فى كتابته آية الكرسي وغيرها، ذكرتها كتب  
الموضوعات، منها «أنه ﷺ أخذ القلم من يد على فدفعه إلى معاوية<sup>(٦)</sup>»،  
و «الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية<sup>(٧)</sup>»، وحديث «أن النبى ﷺ ناول  
معاوية سهما وقال: خذ هذا السهم حتى تلقانى به فى الجنة<sup>(٨)</sup>»، وما روى عن  
ابن عباس أنه «جاء جبريل إلى النبى ﷺ بورقة آس أخضر مكتوب عليها:  
لا إله إلا الله محمد رسول الله، حب معاوية فرض على عبادى<sup>(٩)</sup>».

وحرف الشيعة حديث «اللهم اركسهما فى الفتنة ركسا، اللهم دعهما إلى النار  
دعا<sup>(١٠)</sup>» فى أنه قيل فى معاوية وعمرو بن العاص حين كانا يتغنيان، والواقع أنهما

- 
- (١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ ج١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٧.
  - (٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ ج١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٨.
  - (٣) الفوائد المجموعة ص ٣٣٨. (٤) المرجع السابق ص ٣٤٢.
  - (٥) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣ وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٩ ج٢ ذكره بطوله.
  - (٦) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣.
  - (٧) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٤ ونحوه فى ص ٦ ج٢.
  - (٨) تنزيه الشريعة ص ٦ ج٢. (٩) المرجع السابق ص ٢١ ج٢.
  - (١٠) تنزيه الشريعة ص ١٦ ج٢، والفوائد المجموعة ص ٤٠٧.

لم يفعلوا شيئاً من هذا، إنما قيل هذا في معاوية بن رافع وعمرو بن رفاعه ابن التابوت، فحرف الراوى الأسماء.

ووضع بعض المغرضين من أتباع حزب معاوية «.. ثم قال النبي ﷺ: يا أبا هريرة، إن في جهنم كلاباً زرق الأعين، على أعرافها شعر كأمثال أذناب الخيل، لو أذن الله تعالى لكل منها أن تبلغ السموات السبع في لقمة واحدة لهان ذلك عليه، تسلط يوم القيامة على من لعن معاوية بن أبي سفيان<sup>(١)</sup>».

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة، كلها من صيغة الأحزاب المتناوئة، التي حاولت أن تدعم بها موقفها، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها، وكان بوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله ﷺ مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة، ولكن الهوى ساق بعضهم إلى ذلك والجهل أعمى قلوب بعضهم.

وقد رأى بعض ذوى النيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم، فدفعتهم جبههم للصحابة جميعاً إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم، وترفع من شأنهم، وتبين أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة، وقد طن هؤلاء - بحسن نيتهم - أنهم يفعلون خيراً، لأنهم يمنعون بوضع هذه الأحاديث اللعن الذى كان يتبادله أتباع كل صحابي، ويقطعون دابر الشتم والسباب فيجمعون أمر الأمة وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتنون على رسول الله الكذب. ومن ذلك حديث، «إن الله أمرنى أن أتخذ أبا بكر والداً، وعمر مشيراً، وعثمان سنداً، وأنت يا على ظهيراً. أنتم أربعة، قد أخذ الله لكم الميثاق فى أم الكتاب، لا يحبكم إلا مؤمن تقي، ولا يبغضكم إلا منافق مسيء، أنتم خلفاء نبوتى، وعقد ذمتى<sup>(٢)</sup>» حديث «ينادى مناد يوم القيامة من تحت العرش: أين أصحاب محمد؟ فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم<sup>(٣)</sup>»، و«أبو بكر وزيرى، والقائم فى أمتى من بعدى، وعمر حبيبي ينطق على لساني وأنا من عثمان وعثمان منى، وعلى أخى

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٢٣ ج ٢.

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٨٤.

وصاحب لوائى<sup>(١)</sup>» و«أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها، وعمر بن الخطاب خير أمتى وأكملها، وعثمان بن عفان أحبى أمتى وأعدلها، وعلى بن أبى طالب ولى أمتى وأوسمها، وعبد الله بن مسعود أمين أمتى وأوصلها، وأبو ذر أزهد أمتى وأرقها، وأبو الدرداء أعدل أمتى وأرحمها، ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها<sup>(٢)</sup>». و«من شتم الصديق فإنه زنديق، ومن شتم عمر فمأواه سقر، ومن شتم عثمان فخصمه الرحمن، ومن شتم عليا فخصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٣)</sup>» ومن حديث طويل: «. . . ثم قال - رسول الله ﷺ: ألا لعنة الله على مبغضى أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى<sup>(٤)</sup>».

وإذا رجعنا إلى كتب الموضوعات رأينا أن الشيعة قد أسرفوا فى الوضع أكثر من غيرهم.

### (ب) الخوارج ووضع الحديث:

لم نعثر فى المراجع القريبة منا على ما يدل على وضع الخوارج للحديث، أو على اعتمادهم على ذلك لدعم موقفهم وإثبات دعواهم، اللهم إلا ما ذكر عن ابن لهيعة قال: سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع، وهو يقول: «إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هويتنا أمرا صيرناه حديثا<sup>(٥)</sup>». وما رواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم قال: «قال لى رجل من الخوارج: إن هذا الحديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، إنا كنا إذا هويتنا أمرا جعلناه فى حديث<sup>(٦)</sup>». وما رواه السيوطى: «روى عن شيخ خارجى أنه قال: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هويتنا أمرا صيرناه حديثا<sup>(٧)</sup>».

(٢) الفوائد المجموعة ص ٤٠٩.

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٨.

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨: وانظر: المدخل للحاكم ص ١٩.

(٦) المحدث الفاصل بين الراوى والراعى ص ٨٣.

(٧) اللآلىء المصنوعة ص ٣٤٨ ج ٢.

هذه أخبار ثلاثة بمعنى واحد، وطرق مختلفة، تدل على وضع الخوارج للحديث. إلا أننا لم نجد دليلاً يثبت عليهم هذا بين الأحاديث الموضوعية، وربما كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر، والكذب من الكبائر. وهناك أدلة كثيرة على أنهم أصدق من نقل الحديث، ومن هذا ما قاله ابن تيمية للرافضة في الرد عليهم: «ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم، ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب، لأننا جربناهم، فوجدناهم يتحرون الصدق لهم وعليهم<sup>(١)</sup>»، كما قال أيضاً: «ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث<sup>(٢)</sup>». وقال أبو داود «ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج<sup>(٣)</sup>».

لابد لنا بعد هذا من مخرج لما روى عنهم من الكذب، فالأخبار الأولى تدل على وقوع الوضع منهم، باعتراف أحد شيوخهم، إلا أننا لم نعرف هذا الشيخ!! وقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة<sup>(٤)</sup> نحو حديث ابن لهيعة عن (شيخ من الرافضة)، في نفس الصفحة التي روى فيها خبر ابن لهيعة، فيمكن أن يحمل على أنه خطأ من الكاتب أو الراوى. وإذا فرضنا أنه خطأ، فما موقفنا من الخبرين الآخرين اللذين لا سبيل إلى تسرب الخطأ إليهما؟ إلا أن الأخبار التي تدل على صدقهم تعارض هذه الروايات، والبحث لا يؤدي إلى دليل يدين الخوارج بالوضع فلا بد من حمل تلك الأخبار على وهم الراوى: أن «الشيخ» خارجي، وهو ليس كذلك. وأرجح من هذا أن الخبرين ضعيفان لجهالة «الشيخ».

وأما ما روى عن عبد الرحمن بن مهدي: أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث «إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته...» - فقد فند الدكتور مصطفى السباعي هذا القول، وبين أنه من وضع

(١) المتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢.

(٣) الكفاية ص ١٣٠.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨: ب.

الزنادقة<sup>(١)</sup>. وهكذا يثبت أن الخوارج لم ينغمسوا في حماة الوضع، لما عرف عنهم من الورع والتقوى.

## ٢- أعداء الإسلام (الزنادقة):

لقد قوضت دولة الإسلام دولتي كسرى وقیصر، وقضت على عروش الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم، يذيقونها العذاب ويستنزفون خيراتها، ويسترقون أبناءها، وكان حول هؤلاء الحكام طبقة من الخواص والمستغلين، الذين يفيدون من وراء أولئك الملوك والأمراء، وكانت لهم وسائلهم الخاصة في استغلال رعاياهم، فعندما انتشر الإسلام، وخالط قلوب الأمم المظلومة، والشعوب المغلوبة على أمرها من قبل رعاتها - تذوق هؤلاء نعمة الحرية، وشعروا بالكرامة الإنسانية، فحين أفلتت السلطة من يد الحكام، وخسروا مناصبهم، وضاعت تلك المنافع التي كانوا ينالونها باستغلال أبناء الشعب، الذي عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق الإسلام، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين، فأضمرُوا الحقد والكيد للإسلام والمسلمين، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف، لقوة الدولة الإسلامية، فراحوا ينفرون المسلمين من العقيدة الجديدة، بدس الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول الله، قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن الإسلام، الذي حاولوا أن يصوروه أشع الصور في عقائده وعباداته وأفكاره، وظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة، وتحت أسماء فرق متعددة، إلا أنهم لم يوفقوا إلى ما أرادوا، وباءت محاولاتهم بالفشل أمام قوة الإسلام، وسمو مقاصده، وصفاء عقيدته.

وسنذكر أمثلة موجزة مما صنعوه ليضلوا أتباع الدين، وينفروا منه من يحب اعتناقه، فمن ذلك: ما رووه: «أن نفرا من اليهود أتوا الرسول ﷺ فقالوا من يحمل العرش؟ فقال: تحمله الهوام بقرونها، والمجرة التي في السماء من عرقهم، قالوا: نشهد أنك رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٩٧.

(٢) قبول الأخبار ص ١٤.

قال أبو القاسم البلخي: «هذا والله تقول، وقد أجمع المسلمون على أن الذين يحملون العرش ملائكة<sup>(١)</sup>»، وحديث عن النبي ﷺ: المجرة التي في السماء عرق الأفعى التي تحت العرش<sup>(٢)</sup>. وقال أبو القاسم «وما يستجيز أن يروى مثل هذا عن رسول الله ﷺ إلا من لا يبالي بدينه، ومتى قال المسلمون إن تحت العرش أفعى؟ وهل يجوز أن يكون هذا إلا من دسيس الزنادقة ليقبحوا الإسلام<sup>(٣)</sup>؟» وحديث: «قيل: يا رسول الله، مم ربنا؟ قال: من ماء مرور، لا من أرض ولا سماء، خلق خيلاً فأجراها، فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق<sup>(٤)</sup>». إنه لا يضع مثل هذه الأحاديث مسلم ولا عاقل!!

وإن هؤلاء لأشد ضرراً وبلاء على الإسلام من غيرهم، فقد كان منهم من يفحش في الكذب والافتراء، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبي العوجاء، الذي اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث، فقال: «والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام<sup>(٥)</sup>» وقال المهدي: «أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمئة حديث، فهي تجول في أيدي الناس<sup>(٦)</sup>» وقال حماد بن زيد: «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ اثني عشر ألف حديث، بثوها في الناس<sup>(٧)</sup>»، وفي رواية قال: «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث<sup>(٨)</sup>».

إلا أن هذه الأحاديث لم تخف على رجال هذا العلم، فبينوها وتتبعوا الكاذبين الذين وضعوها.

(١) ٢ و ٣) قبول الأخبار ص ١٤.

(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١.

(٥) اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢. وعبد الكريم هذا خال معن بن زائدة الشيباني المعروف وقد أمر بضرب عنقه محمد بن سليمان بن علي أمير مكة وقال الذهبي في الميزان: أمير البصرة، انظر: توضيح الأفكار ص ٧٥ ج ٢، وانظر ميزان الاعتدال ص ١٤٤ ج ٢.

(٦) الكفاية ص ٤٣١، واللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢.

(٧) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٢، والكفاية ص ٤٣١.

(٨) تدريب الراوي ص ١٨٦ وتوضيح الأفكار ص ٧٥ ج ٢. وذكر عنه أربعة آلاف، انظر: اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢، وأظن أنه خطأ مطبعي أو خطأ من الراوي.

### ٣- التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام:

اعتمد الأمويون في إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصب بعضهم للعرب والعربية، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام حتى إن طبقة الموالي «وهم المسلمون من غير العرب» شعرت بهذه العنصرية، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها في سبيل تحقيق ذلك<sup>(١)</sup>، وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم، وتبين فضائلهم، ومن ذلك حديث: «إن كلام الدين حول العرش بالفارسية، وإن الله إذا أوحى أمراً فيه لين أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية<sup>(٢)</sup>» فوضع مقابله حديث «أبغض الكلام إلى الله الفارسية، وكلام الشياطين الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنة العربية<sup>(٣)</sup>»، وحديث: «دعوني من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه<sup>(٤)</sup>».

ومنشأ وضع الأحاديث في فضائل بعض القبائل العربية يرجع - في غالب ظني - إلى إثارة تلك العنصرية القبلية التي ظهرت في الدولة الأموية عقب وفاة يزيد ابن معاوية<sup>(٥)</sup>.

وكما وضعت أحاديث في الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديث في تفضيل البلدان والأئمة، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلامية من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد في دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث في فضائل بلدانهم أو أئمتهم. ومما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين، فوضعت أحاديث كثيرة في فضائل

(١) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٢٤٢ ج١.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٦ ج١. (٣) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٢ ج١.

(٤) المرجع السابق ص ٣١ ج٢.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٢٣٧ ج١.

البلدان منها: «أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق<sup>(١)</sup>...». وفي الأئمة حديث: «يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي<sup>(٢)</sup>»، و«سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة، ليحيين دين الله وسنتي على يديه<sup>(٣)</sup>».

#### ٤ - القصاصون:

ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ في أواخر عهد الخلافة الراشدة<sup>(٤)</sup>، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية<sup>(٥)</sup>، وكان بعض القصاص لا يهيمه إلا أن يجتمع الناس عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التي تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم، وقد كان معظم البلاء من هذا الصنف الذي يكذب على رسول<sup>(٦)</sup> الله ﷺ، ولا يرى في ذلك إثما ولا بهتانا.

ومما يؤسف له أن هؤلاء القصاص - على تعلمهم وكذبهم على رسول الله ﷺ - قد وجدوا آذانا تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم، وكان هؤلاء من جهلة العامة التي لا يهيمها البحث والتقصي.

ومما وضعه القصاص حديث: «إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلال، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت، لا تروث ولا تبول، ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا<sup>(٧)</sup>...».

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٤٨ ج ٢.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠ ج ٢.

(٤) استشار تميم الداري - صحابي مشهور - عمر رضى الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمح له انظر ص ١٨: ب من تميز المرفوع عن الموضوع. وعن نافع عن ابن عمر أنه لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقعت الفتنة انظر: كتاب العلم للمقدسي ص ٥٢، وانظر: أخبار أصبهان ص ١٣٦ ج ١، طبع ليدن سنة ١٩٣١.

(٥) انظر: الخطط للمقرئ ص ٢٤٦ و ٢٥٦ ج ٢ حيث يذكر بعض القصاص والمساجد التي كانوا يقصون فيها، وكذلك البيان والتبيين ص ٣٦٨ ج ١.

(٦) انظر اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٩ ج ٢.

(٧) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٧٨ ج ٢.

وقد قاوم رجال الحديث القصاص، وبينوا كذبهم، فلقوا من أتباعهم الإنكار والأذى، وفي ذلك حوادث طريفة منها: أن الشعبي أنكر على أحد القصاص في بلاد الشام، فقامت عليه العامة تضربه، ولم يدعه أتباع القاص حتى قال الشعبي برأى شيخهم نجاة بنفسه<sup>(١)</sup>.

وكان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص، من ذلك ما رواه عاصم قال: «كنا نأتى أبا عبد الرحمن السلمى ونحن غلمة أيفاع، فكان يقول لنا: لا تجالسوا القصاص غير أبى الأحوص، وإياكم وشقيقًا، قال وكان شقيق هذا يرى رأى الخوارج وليس بأبى وائل»<sup>(٢)</sup>.

وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضعون من الحديث ما يرغب الناس فى الإحسان إليهم والعطف عليهم، من هذا ما روى ابن الجوزى بإسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى، قال: «صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص فقال: «حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين، قالوا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب، وريشه من مرجان!! وأخذ فى قصه نحو من عشرين ورقة، فجعل أحمد ابن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد، فقال له: حدثته بهذا!! فيقول: والله ما سمعت هذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات، ثم قعد ينتظر بقيتها، قال له يحيى بن معين بيده: تعال، فجاء متوهما لنوال، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟! فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين! فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ﷺ! فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحقق، ما تحققت هذا إلا الساعة! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما؟

(١) انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦: ب، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٠٠ ج ١.

وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين!! فوضع أحمد كمة على وجهه، وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما<sup>(١)</sup>!!

وكان من هؤلاء القصاص المتكسبين من يحفظون أسانيد مشهورة، يكررونها كالبيغاء ويلصقون بها ما يضعون من الأحاديث العجيبة بكل وقاحة وصفاقة وجه، كما فعل القاص المذكور مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وكما فعل قاص آخر حكى عنه أبو حاتم البستي جهله وكذبه، قال أبو حاتم: دخلت مسجداً، فقام بعد الصلاة شاب فقال: «حدثنا أبو خليفة: حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس، وذكر حديثاً، قال أبو حاتم: «فلما فرغ دعوته، قلت: رأيت أبا خليفة؟ قال: لا، قلت: كيف تروى عنه ولم تره؟ فقال: إن المناقشة معنا من قلة المروءة! أنا أحفظ هذا الإسناد، فكلما سمعت حديثاً ضمته إلى هذا الإسناد!!»<sup>(٢)</sup>.

وقد بين أيوب السختياني أثر القصاص في إفساد الحديث فقال: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضاً: ما أمت العلم إلا القصاص<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث التي وضعها القصاص في القرن الأول قليلة، ازدادت فيما بعد، وقد كشف عنها رجال هذا العلم وبنوا واضعيها وتبعوهم حتى تميز الصحيح من الباطل.

## ٥- الرغبة في الخير مع الجهل بالدين:

بينت فيما تقدم أن بعض ما حدث من الفتن، وما ترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم، ورفع شأن زعمائهم، والخط من قيمة خصومهم، وقد ظهر إثر هذا بعض الصالحين والزهاد والعباد، الذين ساءهم هذا الانشقاق وتفرقة الأمة، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعمائهم جميعاً،

(١) الباعث الحثيث ص ٩٣، ٩٤، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩: ١٤٩ أ- ب، وتمييز

المرفوع عن الموضوع ص ١٦: ب، وتوضيح الأفكار ص ٧٦، ٧٧ ج-٢.

(٢) الباعث الحثيث ص ٩٣.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٧: ب.

ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا انشغال الناس بالدنيا عن الآخرة، فوضعوا أحاديث في الترهيب والترغيب حسبة لله<sup>(١)</sup>، وقد حملهم جهلهم بالدين على استساغة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس في صالح الأعمال، وكأن هذه الثروة من الأحاديث النبوية التي لا يدرك البيان وصفها - لم تشف صدورهم، ولم ترد ظمأهم، فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله، وإذا ما ذكروا بقوله ﷺ «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قالوا: نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له<sup>(٢)</sup>. ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خدع العامة، فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم، فكان خطرهم شديداً على الدين<sup>(٣)</sup>، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد، الذي لا يتصور معه العامي إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب، وفي هذا يروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قوله: «لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث<sup>(٤)</sup>». وقال أبو عاصم النبيل: «ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث<sup>(٥)</sup>»، وفي رواية عن يحيى بن سعيد القطان: «ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد<sup>(٦)</sup>».

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور، وفي هذا يروى الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: «من أين لك، عن

(١) ومن هذا ما يرويه علي بن المديني أن جرير بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن المسور كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ، ولا يضع إلا ما فيه أدب أو زهد، فيقال له في ذلك، فيقول: إن فيه أجراً. انظر: ص ٧، ٨ قبول الأخبار. وعبد الله بن المسور هو نفسه أبو جعفر المدائني الهاشمي الذي أرسل عن رسول الله ﷺ كلاماً حقا ليس عن رسول الله ﷺ فاحتمله الناس في الدعاء ونحوه. انظر: أيضا قبول الأخبار ص ١٥ وعبد الله بن المسور هذا هو الذي يروى عنه خالد بن أبي كريمة انظر: ترجمته في ميزان الاعتدال ص ٧٨ ج ٢ ترجمة (٥٦٣) وذكر الإمام مسلم هنا في صحيحه: انظر: مسلم بشرح النووي ص ١٠٧ ج ١.

(٢) انظر: اختصار علوم الحديث ص ٨٦. (٣) انظر: تدريب الراوي ص ١٨٤.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٤ ج ١، ونحوه في مقدمة التمهيد ص ١٤: أ، وفي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٥٩: أ.

(٥) المحدث الفاضل ص ٨٣: أ. (٦) اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢.

عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة<sup>(١)</sup>»، وقال ابن مهدي لميسرة ابن عبد ربه: «من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها<sup>(٢)</sup>»، وقال أبو عبد الله النهاوندي لغلام خليل - هو أحمد ابن محمد بن غالب الباهلي - : «ما هذه الرقائق التي تحدث بها؟ قال: وضعتها لنرقق بها قلوب العامة<sup>(٣)</sup>»، وقد كان مشهوراً بزهد حتى عرف بزاهد بغداد، وقد غلقت أسواق بغداد لموته<sup>(٤)</sup>، وحمل في تابوت إلى البصرة، وكان يحفظ علماً كثيراً، ومع هذا لم يحمل عنه العلماء وبينوا أمره وأمر غيره.

## ٦ - الخلافات المذهبية والكلامية:

وكما دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الأحاديث؛ وضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية أحاديث لتأييد مذاهبهم؛ من هذا ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى: إن قوما يرفعون أيديهم في الركوع وفي الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضح... عن أنس مرفوعاً «من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له<sup>(٥)</sup>»، وحديث: «كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم، وطلقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول<sup>(٦)</sup>» وعلائم الوضع ظاهرة جلية في تعليقاته وركاكة لفظه.

(١) تدريب الراوى ص ٢٨٤، واللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢.

(٢) ميزان الاعتدال ص ٦٦، ٦٧ ج ١، وتدريب الراوى ص ١٨٥ واللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢.

(٤) كانت وفاته في رجب من سنة (٢٧٥هـ). انظر: ميزان الاعتدال ص ٦٧ ج ١.

(٥) تدريب الراوى ص ١٨١، والباعث الحثيث ص ٩٠ وقال فيه عن الحاكم: فهذا مع كونه كذبا من أنجس الكذب، فإن الرواية عن الزهري بهذا السند بالغة مبلغ القطع بإثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال، وهي في الموطأ وسائر كتب الحديث اهد من لسان الميزان ص ٢٨٨، ٢٨٩ ج ٥.

(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١.

ومن هذا ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأى القدر فتأب منه - فقال: لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئاً، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس في القدر نحتسب بها، ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس. قال زهير: فقلت له: كيف تصنع بمن أدخلتهم؟ قال: ها أنا ذا أخرجهم الأول فالأول<sup>(١)</sup>.

#### ٧- التقرب من الحكام وأسباب أخرى:

لم يذكر أحد - فيما اطلعت - أن أحداً من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بني أمية وأمرائهم بوضع ما يرضى ميولهم من الحديث، اللهم إلا ما اتهم به الشيعة بعض الصحابة والتابعين في ذلك، وقد رددنا هذا في الفصل الثاني من «أبي هريرة»، وطبيعي أن يتقرب بعض المرثيين إلى الطبقة الحاكمة بوضع ما يرضيهم من الحديث، وقد حدث هذا فعلاً في عهد العباسيين، فقد أسند الحاكم «عن هارون بن أبي عبيد الله عن أبيه قال: قال المهدي ألا ترى ما يقول لى مقاتل؟ قال: إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس، قلت لا حاجة لى فيها<sup>(٢)</sup>».

وقد كذب غياث بن إبراهيم للمهدي في حديث «لا سبق إلا فى نصل أو خف أو حافر»، فزاد فيه أو جناح حين رآه يلعب بالحمام، فتركها المهدي بعد ذلك، وأمر بذبحها، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم، وقال فيه بعد أن ولى: «أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>» وإن هذا الإنكار من المهدي لا يكفى، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة آلاف درهم من أموال المسلمين، لكذبه على رسول الله ﷺ، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويعبسه إذا لم يشأ أن يقتله<sup>(٤)</sup>.

(١) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ وفيه (هوذا) وما أثبتته أصوب.

(٢) تدريب الراوى ص ١٨٧ والباعث الحديث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير المهدي.

(٣) المدخل ص ٢٠، ٢١ والباعث الحديث ص ٩٤، وتدريب الراوى ص ١٨٧، وتوضيح الأفكار ص ٧٦ ج ٢.

(٤) راجع السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٠٤ فقد كتب أستاذنا الدكتور السباعى كلمة طيبة جريئة لما كان لتساهل الخلفاء والأمراء مع الموضوعين من أثر سئى فى الدين.

وهناك أسباب أخرى بينها رجال الحديث، وضربوا لها الأمثال، مثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمي، قال: كنت عند سعد بن طريف، فجاء ابنه من الكتاب يبكي، فقال: مالك؟ قال: ضربني المعلم. قال: لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً: «معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين»<sup>(١)</sup>. وحديث: «خير تجارتكم البز، وخير أعمالكم الخرز»<sup>(٢)</sup>، و«من سيادة المرء خفة عارضيه»<sup>(٣)</sup>، و«الناس أكفاء إلا حائك أو حجام»<sup>(٤)</sup>.

ومن الرضاعين من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة، وللأقوال المعسولة، ومنهم من وضع الحديث للإغراب ليُقصدوا بالطب لما عندهم من غريب الحديث، وهؤلاء من جهال أهل الحديث، بل من المتطفلين على الحديث النبوي وعلمائه، ومنهم من وضع الأحاديث في أصناف معينة من المآكل لترويجها، أو في مهن خاصة للرفع من قدرها. . وفي غير هذا وذاك، وقد بين العلماء جميع هذا، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لحفظ الحديث.

\*\*\*

---

(١) انظر: تدريب الراوي ص ١٨٠، ١٨١، والباعث الخبيث ص ٨٩ حيث قال: وسعد بن طريف هذا، قال فيه ابن معين: «لا يحل لأحد أن يروى عنه» وقال ابن حبان: «كان يضع الحديث» وراوى القصة عنه سيف بن عمر، قال فيه الحاكم: اتهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط» ١ هـ.  
(٢، ٣، ٤) قبول الأخبار ص ٢١ وانظر: فى المدخل ص ٢٤ بعض ما وضعه الكذابون فى الشهوات واللذات.

## الفصل الثاني

### جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم في مقاومة الوضع

كان الوضعون يسيئون إلى الدين إساءة خطيرة، ويشوهون بكذبهم وجه الإسلام، ويدخلون في تعاليمه ما ليس منه، لولا عناية الله عز وجل الذي حفظ الإسلام من التحريف والتبديل، وصان كلام نبيه ﷺ عن أن يكون مطية لأهل الأهواء، فقيض للأمة رجالاً أمناء مخلصين، قاوموا الوضعين وتبعوهم، ومازوا الباطل من الصحيح، فلولا الجهود التي بذلها الصحابة والتابعون وعلماء الأمة من بعدهم لاشتبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم، لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضعون، ونسبوه إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً. وإن المنصف لا يسعه إلا أن يقف إجلالاً وإكباراً لجهود علماء الأمة التي بذلوها - منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة - في تنقيح السنة الشريفة وتطهيرها مما أدخلته فيها يد الوضع، وإن المرء ليزداد إعجاباً بتلك القواعد العلمية الدقيقة التي طبقها العلماء، وبذلك المنهج الخاص الذي اتبعوه في سبيل الحفاظ على حديث رسول الله ﷺ، ولدرك قيمة بحثهم ودراستهم وصبرهم وتبعهم إزاء تلك الكثرة من الأحاديث الموضوععة، التي يصعب استقصاؤها وحصرها - يكفينا لهذا أن نعلم أنه قد وضع أعداء الإسلام بشهادة حماد بن زيد أربعة عشر ألف حديث، وأن عبد الكريم بن أبي العوجاء اعترف بوضع أربعة آلاف حديث، وأقر محرز أبو رجاء القدرى التائب بأنهم وضعوا أحاديث في القدر أدخلت أربعة آلاف إنسان فيه، وغير هؤلاء كثيرون، فكانت مهمة العلماء شاقة لما يحف بها من الحذر، وما يترتب عليها من الآثار الجلييلة في الدين والدنيا، وبفضل الله ورحمته ذلك تلك الصعوبات على أيدي جهابذة الأمة، الذين شهد بعلمهم وفضلهم وحسن منهجهم ودقة قواعدهم علماء المشرق والمغرب، وحفظت السنة من عبث العابثين وتأويل المغرضين، وتحريف الجاهلین المضلين، وصدق ابن المبارك حين قيل له: هذه الأحاديث الموضوععة!! فقال تعيش لها الجهابذة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] (١).

(١) تدریب الراوی ص ١٨٤ والكفاية ص ٣٧، والجرح والتعديل ص ١٨ ج١ وروی عن عبد الرحمن ابن مهدي نحو هذا في توضیح الافكار ص ٧٩ ج٢.

ونستعرض الآن ما بذله علماء الأمة في سبيل حفظ الحديث الشريف، فقد بحثوا في كل ما يتعلق بالحديث النبوي رواية ودراية، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامة السنة من العبث، ونحن نلخصها فيما يلي:

### أولاً: التزام الإسناد:

لم يكن المسلمون في صدر الإسلام - منذ عهد الرسول ﷺ إلى فتنة عثمان - يكذب بعضهم بعضاً، بل كانت الثقة عملاً صدورهم، والإيمان يعمر قلوبهم، حتى إذا ما وقعت الفتنة، وتكونت الفرق والأحزاب، وبدأ الكذب على رسول الله ﷺ، يتخذ مطية لأهل الأهواء - وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف، وأصبحوا يشددون في طلب الإسناد من الرواة، والتزموا في الحديث، لأن السند للخبر كالنسب للمرأة، ويخبرنا الإمام محمد ابن سيرين عن ذلك فيقول: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يسندون الأحاديث قبل الفتنة بل كان بعضهم يسند ما يروى تارة ولا يسنده أخرى، لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والإخلاص، وهناك أمثلة واضحة تبين إسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة، من هذا ما حدث به على رضى الله عنه البراء بن عازب «أن فاطمة أخبرته أن رسول الله ﷺ أمرها أن تحل، فحلت ونضحت البيت بنضح»<sup>(٢)</sup>. وكان أبو أيوب الأنصاري يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ما لم يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام<sup>(٣)</sup>. وقد حدث الصحابة بعضهم عن بعض.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٤ ج ١ - سنن الدارمي ص ١١٢ ج ١ - ومحمد بن سيرين تابعي جليل ولد سنة ٣٣هـ وتوفي سنة ١١٠هـ انظر ترجمته في الباب الخامس من هذه الرسالة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٢ ب.

(٣) انظر: البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢.

وخلاصة القول أن المسلمين قبل الفتنة لم يلتزموا الإسناد دائما لما كانوا عليه من الصدق والأمانة، علما بأن الإسناد لم يكن طارئا وجديدا على العرب بعد الإسلام، بل عرفوه قبل الإسلام، وكانوا أحيانا يستدون القصص والأشعار في الجاهلية<sup>(١)</sup>. وإنما التزم هذا الثبوت في الإسناد بعد الفتنة في عهد صغار الصحابة وكبار التابعين، وفي هذا يروى الإمام مسلم بسنده المتصل عن مجاهد قال: «جاء بشير العدوي<sup>(٢)</sup> إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف<sup>(٣)</sup>». وفي رواية عن طاوس «فجعل - بشير - يحدثه فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، ثم حدثه، فقال له: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ، إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه<sup>(٤)</sup>»، وكان بعدهم التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمون به، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبي عن الربيع بن خثيم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كن له كعتق رقاب أو رقبة: قال الشعبي فقلت للربيع بن خثيم: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: عمرو بن ميمون الأودي فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت:

(١) وقد ينتهي الإسناد إلى الشاعر أو إلى راويته، ولم يكن التزام الإسناد دائما بل من النادر، أما الإسناد المرسل فهو أكثر و«يكاد يكون ملتزما في رواية الأدب التزاما لا إخلال فيه» انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٨.

(٢) هو بشير - مصغرا - ابن كعب بن أبي أخمير العدوي، أبو أيوب البصري ثقة، مخضرم من الطبقة الثانية، وفاته قبل سنة مائة من الهجرة. انظر: تقريب التهذيب ص ١٠٤ ج ١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨١ ج ١.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٠ ج ١.

من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: عبد الرحمن بن أبي ليلى. فقلت ابن أبي ليلى  
فقلت: من حدثك؟ قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> قال  
يحيى بن سعيد: «وهذا أول ما فتن عن الإسناد<sup>(٢)</sup>».

وقال أبو العالية: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فما  
رضينا حتى رحلنا إليهم، فسمعناها من أفواههم<sup>(٣)</sup>» وكان التابعون وأتباعهم  
يتواصلون بطلب الإسناد، قال هشام بن عروة: «إذا حدثك رجل بحديث فقل  
عمن هذا<sup>(٤)؟»، وكان الزهري إذا حدث أتى بالإسناد ويقول: «لا يصلح أن يُرقى  
السطح إلا بدرجه<sup>(٥)</sup>»، وقال الأوزاعي: «ما ذهب العلم إلا ذهاب الإسناد<sup>(٦)</sup>»،  
وقال سفيان الثوري: «الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شيء  
يقاتل<sup>(٧)؟»، ويقول عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من  
شاء ما شاء<sup>(٨)</sup>، وعنه أنه قال: «بيننا وبين القوم القوائم يعنى الإسناد<sup>(٩)</sup>».</sup></sup>

وقد أتقن التابعون الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا في غيره من علوم الحديث وفي  
هذا يقول أبو داود الطيالسي: «وجدنا الحديث عند أربعة: الزهري، وقتادة،  
وأبي إسحاق، والأعمش، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف، والزهري أعلمهم  
بالإسناد، وأبو إسحاق أعلمهم بحديث علي وابن مسعود، وكان عند الأعمش من  
كل هذا. (١٠)».

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٤ ب، ونظر المحدث الفاضل ص ٢٠: أ.

(٢) المحدث الفاضل ص ٢٠: أ.

(٣) مقدمة التمهيد ص ١٥: أ ونحوه في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨: ب.

(٤) الجرح والتعديل ص ٣٤ ج١.

(٥) المرجع السابق ص ١٦ ج١.

(٦) مقدمة التمهيد ص ١٥: ب.

(٧) شرف أصحاب الحديث ص ٨٠: ب مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (ب-٣٣٧٣٦) وعن

مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ص ٣٩ ج١.

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٧ ج١.

(٩) المرجع السابق ص ٨٨ ج١.

(١٠) تذكرة الحفاظ ص ١٠٨ ج١.

وأصبح الإسناد أمراً بدهياً مسلماً به عند العامة والخاصة، ويظهر هذا فيما يرويه الأصمعي فيقول: «حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابي فقال: كيف أصبح الشيخ يرحمه الله؟ فقال سفيان: بخير نحمد الله، قال: ما تقول في امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت؟ فقال: تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، فقال: هل من قدوة؟ قال: نعم، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت، فأمرها النبي ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف، قال هل من بلاغ عنها؟ قال نعم حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك. قال الأعرابي: لقد استسمت القدرة، وأحسنت البلاغ، والله لك بالرشاد<sup>(١)</sup>»، وقال المدائني سمع أعرابي رجلاً يحدث بأحاديث غير مسندة فقال: لم ترسلها بلا أزمة ولا خطم<sup>(٢)</sup>؟».

ولا يطعن فيما قررناه من التزام التابعين للإسناد المفصل ما روى عن بعض التابعين من المراسيل، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعي كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر بإسناده المتصل عن مالك ابن أنس قال: «كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهري: قال ابن عمر كذا وكذا، فإن كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له: الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به؟ قال: ابنه سالم. وقال حبيب بن الشهيد: قال لى محمد ابن سيرين: سل الحسن ممن سمع حديث العقيقة، فسألته، فقال: من سمرة. قال أبو عمر (ابن عبد البر): فهكذا مراسيل الثقات، إذا سئلوا أحالوا على الثقات. وقال سليمان الأعمش: قلت لإبراهيم: إذا حدثتني حديثاً فأسنده، فقال: إذا قلت: عن عبد الله يعني ابن مسعود فاعلم أنه عن غير واحد (عنه)، وإذا سميت أحدا فهو الذي سميت<sup>(٣)</sup>».

ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم، وكانوا يعرفون السند، وإنما لم يذكروه اختصاراً، ويظهر لنا هذا فيما روى عن

(١) الكفاية ص ٤٠٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، نسخة الإسكندرية ص ١٦٤: ب.

(٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٠، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي.

حماد بن سلمة قال: «كنا نأتى قتادة فيقول: بلغنا عن النبي ﷺ، وبلغنا عن عمر وبلغنا عن علي، ولا يكاد يسند، فلما قدم حماد بن أبى سليمان البصرة جعل يقول: حدثنا إبراهيم وفلان وفلان، فبلغ قتادة ذلك، فجعل يقول: سألت مطرفاً. وسألت سعيد بن المسيب، وحدثنا أنس بن مالك، فأخبر بالإسناد»<sup>(١)</sup>، ولم يكونوا يسألونه عن السند لثقة القوم به، ويدل على هذا ما رواه ابن سعد عن معمر قال: «كنا نجالس قتادة ونحن أحداث، فنسأل عن السند، فيقول مشيخة حوله: مه، إن أبا الخطاب سند، فيكسرونا عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ويقول شعبة: «كنت أجالس قتادة فيذكر الشيء فأقول: كيف إسناده؟ فيقول المشيخة الذين حوله. إن قتادة سند، فأسكت، فسكت أكثر مجالسته، فرمى ذكر الشيء فأذكره، فعرف مكانى، ثم كان بعد يسند لى»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام فى عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى. وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم، ونظموه فى قولهم:

والعلم إن فاته إسناد مسنده كالبيت ليس له سقف ولا طنب<sup>(٤)</sup>

وكان المحدث بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه، ويطمئن إلى صحة ما ينقل عندما ينتهى سنده المتصل إلى رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١، ٢) طبقات ابن سعد ص ٧ قسم ٢ ج ٢.

(٤) المحدث الفاضل ص ٢٢: أ.

(٣) تقدمه الجرح والتعديل ص ١٦٦.

(٥) ونشبت هنا كلمة للدكتور صارم الدين الأسد عن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث: يقول: «ويبدو لنا أن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث إلى أمرين: أمر داخلى، وآخر خارجى، أما الداخلى فمبعثه من نفس الراوى، ومصدره شعوره بالتحرج الدينى، وذلك أنه ينقل كلاماً من كلام رسول الله ﷺ، وهو الذى قال فى حديثه المشهور: «من كذب على فليتبوأ مقعده من النار» وفى الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه، ثم التابعين والصحابة - يشتركون معه فى تحمل تبعه هذا الحديث ونقله، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت.

وأما الأمر الخارجى، فمرجهه إلى سامعى الحديث من المحدث، وذلك أن الحديث يتضمن جزءاً كبيراً من السنة، أو هو السنة كلها، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامى، بل إنه هو المصدر =

## ثانياً: مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث:

من نعم الله عز وجل على المسلمين أن اثبت الصحابة في الأمصار والبلدان، وكتبَ لبعضهم طول العمر ليساهموا في حفظ السنة المحمدية إثر الفتنة، وبعد ظهور الكذب على رسول الله ﷺ، فكان طلاب العلم يسمعون من الصحابة، وإذا ما سمعوا من غيرهم أسرعوا إلى من عندهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتأكدوا مما سمعوا، فكانوا يبينون لهم الغث من السمين، من هذا ما فعل ابن عباس مع ابن أبي مليكة، قال ابن أبي مليكة: «كتبت إلى ابن عباس أن يكتب لى كتاباً ويخفى عنى<sup>(١)</sup>. فقال ولد ناصح أنا أختار له الأمور وأخفى عنه. قال: فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول والله ما قضى بهذا على إلا أن يكون ضل<sup>(٢)</sup>».

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة، يقطعون الفيافي والقفار، للتأكد من حديث سمعوه من تابعي عندهم، وهذا معنى قول أبي العالية السابق: كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم، بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض في سبيل هذا، فقد ارتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر في مصر<sup>(٣)</sup> ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث<sup>(٤)</sup>، وغير هؤلاء ممن سبق ذكرهم.

= الثانى الذى يلى فى القيمة كتاب الله، فلذلك كان من التدقيق والتحقيق، وما يعث الطمأنينة فى نفوس السامعين، ويوحى إليهم بالثقة فى حديث المحدث - أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول». مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(١) يخفى عنى أى يكتم عنى أشياء ولا يكتبها. انظر: صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٢ ج١، ولعله كان يخفى عنه ما لا يثق بصحته.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٢ ج١.

(٣) انظر: جامع بيان العلم ص ٩٣ ج١.

(٤) انظر: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨: ب، وجامع بيان العلم ص ٩٣ ج١، وتهذيب التهذيب ص ١٤٩، ١٥٠ ج٥.

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا على نطاق واسع من التنقل والارتحال فى سبيل تحمل الحديث عن الثقات ومذاكرة الأحاديث، فهناك من ارتحل إلى أبى الدرء لحديث عنده فى دمشق<sup>(١)</sup>، كما رحل ابن شهاب إلى الشام إلى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوة، ورحل يحيى بن أبى كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصحابة، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة ليلقى عبدة وعلقمة وعبد الرحمن ابن أبى ليلى، ورحل الأوزاعى إلى يحيى بن أبى كثير باليمامة ودخل البصرة، كما رحل سفيان الثورى إلى اليمن<sup>(٢)</sup>. . . وقال سعيد بن المسيب: «إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد»<sup>(٣)</sup> وعن الزهرى عن ابن المسيب «إن كنت لأسير ثلاثاً فى الحديث الواحد»<sup>(٤)</sup>.

وقد كان مسروق كثير الرحلة فى طلب الحديث ومذاكرته<sup>(٥)</sup>. وحدث الشعبى بحديث ثم قال لسامعه: «خذها بغير شىء، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»<sup>(٦)</sup>.

وكثيراً ما كان التابعون وأتباعهم يتذكرون الحديث، فيأخذون ما عرفوا ويتركون ما أنكروا، قال الإمام الأوزاعى «كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركناه»<sup>(٧)</sup> وكانوا دائماً يرجعون إلى من يثقون به، فإذا ما اختلف سعيد وأبو هلال وشعبة فى قتادة رجعوا إلى هشام الدستوائى<sup>(٨)</sup>، وإذا اختلف شعبة وسفيان الثورى قالوا:

- 
- (١) انظر: الجرح والتعديل ص ١٢ ج١. (٢) انظر: المحدث الفاضل ص ٣١: أ.  
(٣) جامع بيان العلم ص ٩٤ ج١، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج١ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٩: أ.  
(٤) المحدث الفاضل ص ٢٨: ب. (٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج١.  
(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢ ونحوه فى ٩٣، ٩٤ ج١.  
(٧) الجرح والتعديل ص ٢١ ج١ والمحدث الفاضل ص ٦٤: أ.  
(٨) انظر: المحدث الفاضل ص ٧٦: أ وسعيد أرجح أنه ابن أبى صدقة البصرى من الطبقة السادسة، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسى بصرى من الطبقة السادسة مات سنة ١٦٧هـ، وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور من الطبقة السابعة، توفى سنة ١٦٠هـ، وهشام الدستوائى هو ابن عبد الله حافظ مشهور من كبار الطبقة السابعة، توفى سنة ٥٤هـ وله (٧٨) سنة.  
انظر: تفصيل تراجمهم فى تهذيب التهذيب.

«اذهبا بنا إلى الميزان مسعر»<sup>(١)</sup>. وعن الأعمش قال: كان إبراهيم النخعي صيرفيا في الحديث، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريقي عليه، فأعرض عليه ما سمعت، وكنت أتى زيد بن وهب وضرباءه في الحديث في الشهر المرة والمرة، وكان الذي لا أكاد أغبه إبراهيم النخعي»<sup>(٢)</sup>.

وكان أئمة الحديث في هذا العصر على جانب عظيم من الوعي والاطلاع، فقد كانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث، وليميزوا الخبيث من الطيب، وفي هذا يقول الإمام سفيان الثوري: «إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه، أسمع الحديث من الرجل اتخذه ديناً، وأسمع من الرجل أقف حديثه، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته»<sup>(٣)</sup> ويروى لنا أبو بكر بن الأثرم «أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء في زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس، فإذا طلع عليه إنسان كتبه، فقال له أحمد بن حنبل: تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل: إنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبد الله، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة حتى لا يجيء بعده إنسان فيجعل بدل أبان ثابتاً، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك، فأقول له: كذبت إنما هي عن معمر عن أبان لا عن ثابت!»<sup>(٤)</sup>.

(١) المحدث الفاضل ص ٧٥ ب وسفيان هو ابن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي أمير المؤمنين في الحديث، إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، كان آية في الحفظ توفي سنة (١٦١هـ) وله أربع وستون سنة. تهذيب التهذيب ص ١١١ - ١١٥ ج٤ وانظر: طبقات ابن سعد ص ٢٥٧ ج٦، ومسعر هو ابن كدام الهلالي العامري، أبو سلمة الكوفي، كان آية في الحفظ من الطبقة السابعة توفي سنة (١٥٢هـ). تهذيب التهذيب ١١٣ ج١.

(٢) الجرح والتعديل ص ١٧ ج١، انظر: ترجمة إبراهيم النخعي في الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٣) الكفاية ص ٤٠٢، وانظر: الكامل لابن عدي ص ٢ ج١ وعنه إني لأكتب الحديث على ثلاثة وجوه... انظر: الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧: ب.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧: ب.

## ثالثاً: تتبع الكذبة:

إلى جانب احتياط العلماء وثبتتهم في قبول الأخبار كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنعوهم من التحديث، ويستعدون عليهم السلطان. فقد كان عامر الشعبي «يمر بأبي صالح صاحب التفسير، فيأخذه بأذنه ويقول: ويحك! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ»<sup>(١)</sup>. وقال الشافعي: «لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان»<sup>(٢)</sup>. وقد كان شعبة شديداً على الكذابين، قال عبد الملك ابن إبراهيم الجدي الثقة المأمون: «رأيت شعبة مغضباً مبادراً فقلت: «مه يا أبا بسطام، فأراني طينة»<sup>(٣)</sup> في يده وقال: أستعدى على جعفر بن الزبير يكذب على رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية «على هذا يعنى جعفر بن الزبير، وضع على رسول الله ﷺ أربع مائة حديث كذب»<sup>(٥)</sup>.

وعن حماد بن زيد قال: كلمنا شعبة أنا وعباد بن عباد وجريير بن حازم في رجل، فقلنا: لو كفت عنه؟ قال: فكأنه لأن، وأجابنا، قال: فذهبت يوماً أريد الجمعة، فإذا شعبة ينادى من خلفي فقال: «ذاك الذي قلت لي فيه لا أراه يسعني»<sup>(٦)</sup>. وكان شعبة يفعل هذا كله حسبة لله<sup>(٧)</sup>.

وعن أحمد بن سنان قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول استعديت على عيسى بن ميمون في هذه الأحاديث التي يحدثها عن القسم، فقال: لا أعود<sup>(٨)</sup>.

(١) قبول الأخبار ص ٤٢، وفيه أن أبا صالح اعترف للكلمة بأن كل ما حدثه كان كذباً.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩: أ.

(٣) هكذا في الأصل. والطينة واحدة الطين وهو الوحل، ولعل الراوي أراد بها (اللبن) بفتح اللام وكسر الباء واحدة: اللبن التي يبنى بها الجدار، ولعله قال ذلك باعتبار أصلها.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩: ب.

(٥) تهذيب التهذيب ص ٩١ جـ ٢.

(٦) (٧) انظر: الجرح والتعديل ص ٢١ جـ ١.

(٨) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٥٠: ب ويروى نحو هذا عن أبي الوليد الطيالسي انظر:

تهذيب التهذيب ص ٢٤٢ جـ ١٠.

وكان الإمام سفيان الثوري شديداً على الكذابين، لا يتوانى عن إظهار عيوبهم، وفي هذا يقول ابن أبي غنيّة: «ما رأيت رجلاً أصفق وجهاً في ذات الله من سفيان الثوري رحمه الله»<sup>(١)</sup>. وحدث حماد المالكي<sup>(٢)</sup> - وكان كذاباً - حديثاً فجاءه عمرو الأنماطي وقال له: «والله لا تفارقني حتى أستعدى عليك، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن، وحلف لا يحدث به، (قال) فكتبت عليه كتاباً وأشهدت عليه شهوداً»<sup>(٣)</sup>، وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء، فيضربونهم ويهددونهم بالقتل، روى الإمام مسلم بإسناده المتصل عن حمزة الزيات قال: «سمع مرة الهمداني من الحارث (الأعور) شيئاً فقال له: اقعد بالباب، قال: فدخل مرة وأخذ سيفه، قال: وأحس الحارث بالشر فذهب»<sup>(٤)</sup>.

وكان نتيجة هذا أن توارى كثير من الكذابين، وكفوا عن كذبهم، كما أصبح عند العامة وعى جيد: يميزون به بين المتطفلين على الحديث وأهله ورجاله الثقات، ويدل على هذا ما وراه ابن حجر عن يزيد بن هارون قال: «كان جعفر ابن الزبير وعمران بن حدير في مسجد واحد مصلاهما، وكان الزحام على جعفر بن الزبير وليس عند عمران أحد، وكان شعبة يمر بهما فيقول: يا عجا للناس! اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس، قال يزيد: فما أتى عليه قليل حتى رأيت ذلك الزحام على عمران، وتركوا جعفرأ وليس عنده أحد»<sup>(٥)</sup>، وكان الناس لا يجروون على الكذب في زمن سفيان الثوري، لأنه كان شديداً على الكذابين: يكشف عنهم، ويبين عوارهم، وفيه قال قتيبة بن سعيد: «لولا سفيان الثوري لمات الورع»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١.

(٢) هو حماد بن مالك ويقال المالكي شيخ روى عن الحسن رموه بالكذب ص ٢٨٢ ج ١ ميزن الاعتدال.

(٣) المحدث الفاضل ص ٦٣: ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع: ١٥٠: أ.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٩ ج ١، وكان الحارث الأعور كذاباً من غلاة الشيعة توفى سنة

(٦٥هـ) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٨، ٩٩ ج ١ وانظر ميزان الاعتدال ص ٢٠٢ ج ١،

ومرة هو ابن شراحيل الهمداني أبو إسماعيل الكوفي تابعي ثقة عابد جليل توفى سنة (٧٦هـ) انظر:

تهذيب التهذيب ص ٨٨، ٨٩ ج ١٠.

(٥) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢. (٦) الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١.

## رابعاً: بيان أحوال الرواة:

وكان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من معرفة رواة الحديث، معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم، حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم، وتبعوهم في مختلف حياتهم، وعرفوا جميع أحوالهم، كما بحثوا أشد البحث (حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة)<sup>(١)</sup>.. وقد قال سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا التاريخ»<sup>(٢)</sup>.

وكانوا يبنون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله، لا تأخذهم خشية أحد ولا تملكهم عاطفة، فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث آياه ولا أخاه ولا ولده، فهذا زيد بن أبي أنيسة يقول: «لا تأخذوا عن أخي!!!»<sup>(٣)</sup> وقال على بن المديني لمن سأله عن أبيه: «سلوا عنه غيري، فأعادوا المسألة، فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: هو الدين، إنه ضعيف»<sup>(٤)</sup>، «وكان وكيع بن الجراح لكون والده كان على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه»<sup>(٥)</sup>.

وكان أئمة النقاد يعينون أياماً للتكلم في الرجال وأحوالهم، قال أبو زيد الأنصاري النحوي: «أتينا شعبة يوم مطر، فقال ليس هذا يوم حديث، اليوم يوم غيبة، تعالوا نغتاب الكذابين»<sup>(٦)</sup>. وكانوا يأمرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوي الذي يكثر غلظه، والمتهم في حديثه، قال عبد الرحمن بن مهدي: «سألت شعبة وابن المبارك والثوري ومالك بن أنس عن الرجل يُتهم بالكذب، فقالوا: انشره، فإنه دين»<sup>(٧)</sup>، وعن يحيى بن سعيد قال: «سألت سفيان الثوري وشعبة، ومالكاً وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثباً في الحديث، فيأتيني الرجل فيسألني عنه، قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت»<sup>(٨)</sup>.

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٨: ب.

(٢) الكامل لابن عدى ص ٤: ج٣، والكفاية ص ١١٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢١ ج١.

(٤، ٥) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦.

(٦) الكفاية ص ٤٥. (٧) مقدمة التمهيد ص ١٢: ب.

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٢ ج١.

وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم عن الرواة، من ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه قال: «كتبت إلى شعبة أسأله عن أبي شيبه قاضي واسط، فكتب إلي: لا تكتب عنه، ومزق كتابي»<sup>(١)</sup>.

وكان النقاد يدققون في حكمهم على الرجال، يعرفون لكل محدث ما له وما عليه، قال الشعبي: «والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدوا عليّ تلك الواحدة»<sup>(٢)</sup>. وكانت المظاهر لا تغريهم، وكل ما يهتمهم أن يخلصوا العمل لله، ويصلوا إلى ما ترتاح إليه ضمائرهم، لخدمة الشريعة ودفع ما يشوبها، وبيان الحق من الباطل، قال يحيى بن معين: «إنا لنظعن على أقوام لعلمهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة»<sup>(٣)</sup> قال السخاوي: «أى أناس صالحون، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي بكر بن خلاد، قال: قلت ليحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى؟ قال: قال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول: «لم يحدث عني حديثاً ترى أنه كذب»<sup>(٥)</sup>؟

وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية متأسين برسول الله ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وقال النبي ﷺ في الجرح: «بئس أخو العشيرة»، وفي التعديل: «إن عبد الله رجل صالح»<sup>(٦)</sup>، وقال السخاوي: (وأما المتكلمون في

(٢) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١١٠ ج ١.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع من ١٦٠: أ.

(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢.

(٥) الكفاية ص ٤.

(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢، وانظر: الكفاية ص ٣٨، ٣٩.

الرجال فخلق من نجوم الهدى ومصايح الظلام المستضاء بهم فى دفع الردى، لا يتهياً حصرهم فى زمن الصحابة رضى الله عنهم، سرد ابن عدى فى مقدمة كامله منهم خلقاً إلى زمنه (٢٧٧ - ٣٦٥هـ) فالصحابه الذين أوردهم: عمر، وعلى، وابن عباس، وعبد الله بن سلام، وعبادة بن الصامت، وأنس، وعائشة - رضى الله عنهم، و«أورد»<sup>(١)</sup> تصريح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله، وسرد من التابعين عدداً كالشعبى، وابن سيرين، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقله الضعف فى متبوعهم، إذ أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات، ولا يكاد يوجد فى القرن الأول الذى انقضى فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد، كالحارث الأعور، والمختار الكذاب.

فلما مضى القرن الأول ودخل الثانى كان فى أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث.

فلما كان عند آخرهم<sup>(٢)</sup> عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم فى التوثيق والتجريح طائفة من الأئمة، فقال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر الجعفى، وضعف الأعمش جماعة ووثق آخرين، ونظر فى الرجال شعبة وكان مثبتاً لا يكاد يروى إلا عن ثقة، وكذلك كان مالك، ومن إذا قال فى هذا العصر قُبِلَ قوله: معمر، وهشام الدستوائى، والأوزاعى، والثورى، وابن الماجشون، وحماد بن سلمة، والليث بن سعد، وغيرهم، ثم طبقة أخرى بعد هؤلاء: كابن المبارك، وهشيم، وأبى إسحاق الفزارى، والمعافى بن عمران الموصلى، وبشر ابن المفضل، وابن عيينة، وغيرهم...<sup>(٣)</sup> وقد بين هؤلاء من تقبل روايته ومن لا تقبل، وتكلموا فى العدالة وموجباتها، وفى الجرح وأسبابه، وقد نص عمر رضى الله عنه فى كتابه إلى أبى موسى الأشعري على العدالة، ووضع أول الأسس

(١) ليست فى النص زدناها لتستقيم العبارة.

(٢) أى ما كان عند آخر التابعين انتهاء عصر التابعين.

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٦٣، ١٦٤.

فى ذلك، وبيّن من تقبل شهادته ومن لا تقبل، ولما كانت الرواية، لا تختلف عن الشهادة من ناحية التحمل والأداء، فبوسعنا أن نقول: إن عمر رضى الله عنه قد نص على العدالة التى يجب أن يتحلّى بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته، فقد قال رضى الله عنه: «والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً فى حد... . فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر<sup>(١)</sup>» وتكلم بعده الصحابة والتابعون، وبيّنوا من ترك روايته مطلقاً، ومن لا تقبل روايته ولو تاب، كالوضاعين الكاذبين على رسول الله، وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب، قال الإمام مالك: «لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ من سوى ذلك: لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سقى معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث<sup>(٢)</sup>». وقيل لشعبة بن الحجاج: متى يترك حديث الرجل؟ قال: إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر، وإذا أكثر الغلط، وإذا اتهم بالكذب، وإذا روى حديثاً غلطاً مجتمعاً عليه فلم يتهم نفسه فيتركه، طُرِح حديثه، وما كان غير ذلك فارووا عنه<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الشافعى: «كان ابن سيرين، وإبراهيم النخعى، وطاوس، وغير واحد من التابعين - يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ، وما رأيت أحداً من أهل الحديث يخالف هذا المذهب<sup>(٤)</sup>».

هكذا بين جهاذة هذا العلم - منذ صدور الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف - أحوال الرواة: المقبول منهم والمتروك. وتكامل علم الجرح والتعديل، وألفت مصنفات ضخمة فى الرواة وأقوال النقاد فيهم، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون

(١) إعلام الموقعين ص ٨٦ ج ١.

(٢) المحدث الفاضل ص ٧٩: ٧٩-ب، والجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١، والكفاية ص ١١٦.

(٣) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ والمحدث الفاضل ص ٨١: ب-٨٢: أ وروى نحو هذا عن ابن المبارك انظر:

الكفاية ص ١٤٣، وأيضاً نحوه عن الإمام أحمد انظر: الكفاية ص ١٤٤.

(٤) مقدمة التمهيد ص ١٠ ب.

والضعفاء بالعدول الثقات، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة بالضعفاء والمتروكين، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب في كل عصر، وقد بنى النقاد حكمهم في الرواة على قواعد دقيقة، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم نتاج في هذا المضمار، يفخر به المسلمون أبد الدهر، وتعزز به الأمة الإسلامية التي شهد لها كبار العلماء بأيديها البيضاء في خدمة السنة الشريفة، قال المستشرق الألماني «شبرنجر» في تصدير كتاب الإصابة لابن حجر - طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ - ١٨٦٤ -: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر، الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم<sup>(١)</sup> . . . .»

ولم يكتف العلماء بالتزام الإسناد، والتثبت من الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين، وبمراجعتها ومقارنتها ومعرفة طرقها وأسانيدنا ومعرفة روايتها وأحوالهم، والثقة منهم والمجروح، بل قسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من المردود، والقوى من الضعيف، فقسموه إلى صحيح وحسن وضعيف، وبنوا حد كل منها وما يندرج تحته، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفاً عند المحدثين في القرن الهجري الثاني، وإنما عرف بعد ذلك، ويعتبر كتاب الترمذي أصلاً في معرفة الحسن<sup>(٢)</sup>، كما (يوجد - الحسن - في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله، كأحمد والبخاري وغيرهما<sup>(٣)</sup>) وتكلموا في أنواع الضعيف، وبنوا ذلك في منشأ الضعف من السند أو المتن، وقد قسمه ابن حبان تسعة وأربعين قسمًا<sup>(٤)</sup>، وقسمه ابن الصلاح أقساماً كثيرة باعتبار الصفة التي فقدتها من صفات القبول الستة، وهي: الاتصال، والعدالة والنضبط، والمتابعة في المستور، وعدم الشذوذ، وعدم العلة، وباعتبار فقد صفة مع صفة أخرى تليها

(١) أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٣٦.

(٢) انظر: اختصار علوم الحديث ص ٤٣.

(٣) الباعث الحديث ص ٤٤ أى في كلام بعض مشايخ الترمذي.

(٤) انظر: تدريب الراوي ص ١٠٥.

أولاً، أو مع أكثر من صفة إلى أن تفقد الستة، فبلغت فيما ذكره العراقي في شرح الألفية اثنين وأربعين قسمًا<sup>(١)</sup>، وقسمه غيره إلى أنواع أكثر من ذلك لا يتسع المجال لذكرها.

### خامساً: وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث:

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث، وما يدل عليه في متنه، وسنوجز هذه العلامات فيما يلي:

#### (أ) علامات الوضع في السند:

١- أن يعترف راوى الحديث بكذبه، ويقر باختلاقه ما يروى: كما أقر عبد الكريم الوضع، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم، وكما اعترف أبو جزي وهو مريض فقال: «لولا أنه حضرني من الله ما ترون كنت خليقا ألا أقر ولا أعترف، ولكنني أشهدكم أنني وضعت من الحديث كذا وكذا، وإنى أستغفر الله منها وأتوب إليه<sup>(٢)</sup>». وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعا.

٢- وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع: كأن يروى عن شيخ لم يلقه، أو يروى عن شيخ في بلد لم يرحل إليه، أو يروى عن شيخ ولد بعد وفاته، أو توفي هذا الشيخ والراوى صغير لا يدرك، قيل لشعبة: لم لا تحدث عن عثمان ابن أبي اليقظان، وهو عثمان بن عمير؟ فقال: كيف أحدث عن رجل كنت جالسا معه فسألته عن سنه، فأخبرني بمولده ثم حدث عن رجل قد مات قبل أن يولد<sup>(٣)</sup>؟! وإن هذا الصنف لا يمكن معرفته إلا بمعرفة مولد الشيوخ ووفاتهم، والبلدان التي رحلوا إليها، والأماكن التي أقاموا فيها، كيلا يستغل الوضعاء الشيوخ الشقات لترويج ما يضعون، وقد وفق علماء الأمة في هذا، فقسموا الرواة طبقات، وعرفوا

(١) انظر تدريب الراوى ص ١٠٥، وفتح المغيث ص ٥٥ ج ١.

(٢) قبول الأخبار ص ١٦.

(٣) قبول الأخبار ص ٦.

كل شيء عنهم، ولم يخف عليهم من أحوالهم شيء، وفي هذا قال حفص بن غياث: «إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالتاريخ - يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه - وقال حسان بن زيد: لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، نقول للشيخ: كم سنه؟ وفي رأى تاريخ ولد؟ فإن أقر بمولده عرفناه صدقه من كذبه<sup>(١)</sup>».

٣- أن يتفرد راو معروف بالكذب برواية حديث، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع وقد استقصى جهاذة الأمة الكذابين، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد.

٤- ومن القرائن التي يدرك بها الوضع، ما يؤخذ من حال الراوى، كما وقع للمأمون بن أحمد، أنه ذكر بحضرته الخلاف في كون الحسن سمع من أبي هريرة أولاً، فساق في الحال إسناده إلى النبي ﷺ أنه قال: سمع الحسن من أبي هريرة<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا ما ذكرناه عن سيف بن عمر الذي روى خبر وضع سعد بن طريف لحديث «معلمو صبيانكم شراركم...»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

### (ب) علامات الوضع في المتن:

مقدمة: قال الإمام ابن قيم الجوزية: (وسئلت: هل يمكن معرفة الموضوع بضابط، من غير أن ينظر في سنده؟ فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بدمه ولحمه، وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة رسول الله ﷺ وهدية، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة

(١) تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٢٦ ج ١.

(٢) قواعد التحديث ص ١٣٣ وقيل لمأمون بن أحمد الهروي: ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخراسان؟ فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله . . عن أنس مرفوعاً يكون في أمي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمي من إبليس. انظر: تدريب الراوى ص ١٨١.

(٣) انظر: ص ١٨٠، ١٨١ في الفصل السابق من هذا الباب.

بحيث كأنه مخالط لرسول الله ﷺ كواحد من أصحابه، ومثل هذا يعرف - من أحوال الرسول ﷺ وهدية وكلامه، وما يجوز أن يخبر عنه، وما لا يجوز - ما لا يعرفه غيره، وهذا شأن كل متبع مع متبوعه، فلأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح - ما ليس لمن لا يكون كذلك. وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم: يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم - ما لا يعرفه غيرهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن دقيق العيد: «وكثيراً ما يحكمون بذلك (أى بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي ﷺ هيئة نفسانية وملكة يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز، ... فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى<sup>(٢)</sup>».

ومن القرائن التي تدل على الوضع في المتن:

١- ركاكة اللفظ في المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها. قال الحافظ ابن حجر: «المدار في الركة على ركة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ، لأن الدين كله محاسن، والركة ترجع إلى الرداءة، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى، فغير ألفاظه بغير فصيح، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب.»<sup>(٣)</sup>

٢- فساد المعنى: كالأحاديث التي يكذبها الحس، نحو حديث: الباذنجان لما أكل له،<sup>(٤)</sup> والباذنجان شفاء من كل داء<sup>(٥)</sup>، ومنها سماجة الحديث، وكونه مما يسخر منه كحديث: «لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً، ما أكله جائع إلا أشبعه<sup>(٦)</sup>» قال ابن قيم الجوزية: فهذا من السمج البارد الذي يصاب عنه كلام العقلاء، فضلاً

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٥ وانظر: قواعد التحديث ص ١٤٨.

(٢) توضيح الأفكار ص ٩٤ ج ٢. (٣) الباعث الخبيث ص ٩٠.

(٤، ٥) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٩.

(٦) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠.

عن كلام سيد الأنبياء<sup>(١)</sup>، وحديث: من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر<sup>(٢)</sup>، وكل ما يدل على إباحة المفاسد والسير وراء الشهوات كحديث: ثلاثة تزيد في البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن<sup>(٣)</sup>. وحديث: النظر إلى الوجه الجميل عبادة<sup>(٤)</sup>. قال ابن قيم الجوزية: «وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسهم - فكذب مختلق، وإفك مفترى<sup>(٥)</sup>».

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء، فإن في هذا الحديث: (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلاث، وأن نوحا لما خوفه الغرق، قال له: احملني في قصعتك هذه، وأن الطوفان لم يطل إلى كعبه، وأنه خاض البحر، فوصل إلى حجزته، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله في عنقه مثل الطوق<sup>(٦)</sup>).

وكذلك كل حديث يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء، فكيف تصدر عن رسول الله الذي أوتى جوامع الكلم كحديث: «المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش<sup>(٧)</sup>» وحديث «المؤمن حلو يحب الحلاوة<sup>(٨)</sup>» وحديث «الهريسة تشد الظهر<sup>(٩)</sup>» - كلها وأمثالها من وضع الوضاعين الذين افتروا على رسول الله الكذب، ووضعوا ما يخالف الشريعة وما ينافي رسالة الأنبياء الذين جاءوا يخاطبون أولى الألباب ويأمرون بالمعقول، ولم تكن رسائلهم لتفضيل طعام على طعام، وإثارة الشهوات، ورواية الأساطير والخرافات، والإتيان بما يردده الحق ويرفضه العقل. وفي هذا كلمة لابن الجوزي قال: «ما أحسن قول القائل: إذا

(٢) المرجع السابق ص ٢١.

(٦) المرجع السابق ص ٢٩، ٣٠.

(٨، ٩) المنار ص ٢٥.

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠.

(٣، ٤، ٥) المنار ص ٢٤.

(٧) المرجع السابق ص ٢٣.

رأيت الحديث يبين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع<sup>(١)</sup>».

٣- ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي<sup>(٢)</sup>، وما يناقض السنة مناقضة بينة: قال ابن قيم الجوزية: «ومنها<sup>(٣)</sup> مخالفة الحديث صريح القرآن. كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة. ويحيى في الألف السابعة<sup>(٤)</sup>. وهذا من أبين الكذب، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا<sup>(٥)</sup> مائتان وخمسون سنة. والله تعالى يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْ قَتَلْتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال النبي ﷺ: «لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله<sup>(٦)</sup>».

ومما وضع مناقضاً للسنة مناقضة بينة (أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار. وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه ﷺ: أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب، وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة)<sup>(٧)</sup>.

وجميع الأحاديث التي تنص على وصاية علي رضي الله عنه أو على خلافته غير صحيحة، وهي موضوعة، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه ﷺ لم ينص على تولية أحد بعده.

(١) تدريب الراوي ص ١٨٠.

(٢) انظر: توضيح الأفكار ص ٩٦ ج ٢.

(٣) أي الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً.

(٤) لعله يريد أنه يحيى، نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة.

(٥) عاش ابن قيم الجوزية من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢هـ).

(٦) المنار ص ٣١.

(٧) المنار ص ٢٢.

٤- كل حديث يدعى تواطؤ الصحابة على كتمان أمر، وعدم نقله، كما تزعم الشيعة: (أنه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال: «هذا وصي وأخي، والخليفة من بعدى، فاسمعوا وأطيعوا له» ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره، فلعنة الله على الكاذبين)<sup>(١)</sup>.

٥- كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ، أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه. مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر، كذب من عدة وجوه:

أحدها: أن فيه شهادة سعد بن معاذ، وسعد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق. الثاني: أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك، حين وضعها النبي ﷺ على نصارى نجران ويهود اليمن. وبين ابن قيم الجوزية كذب هذا في عشرة أدلة قوية<sup>(٢)</sup>.

ومثاله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي وائل قال: خرج علينا ابن مسعود بصفين، فقال أبو نعيم: أترأه بعث بعد الموت<sup>(٣)</sup>. فابن مسعود توفي قبل صفين سنة ٣٢ هجرية.

٦- أن يكون خبراً عن أمر جسيم كحصر العدو للحاج عن البيت، ثم لا ينقله منهم إلا واحد، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك. قلت: ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين<sup>(٤)</sup>.

٧- موافقة الحديث لمذهب الراوى، وهو متعصب مغال في تعصبه، كأن يروى رافضى حديثاً في فضائل أهل البيت، أو مرجئ حديثاً في الإرجاء، مثل ما رواه حبة بن جوين قال: سمعت علياً رضي الله عنه قال: عبدت الله مع رسوله قبل أن

(١) المنار ص ٢٢. (٢) انظر: المنار ص ٣٧-٣٨.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ص ١١٧ ج ١.

(٤) توضيح الأفكار ص ٩٦ ج ٢.

يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين، قال ابن حبان: كان حبة غالباً في التشيع، واهياً في الحديث<sup>(١)</sup>.

٨- اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير، مثال ذلك: «من قال لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له» و «من فعل كذا وكذا، أعطى في الجنة سبعين ألف مدينة، في كل مدينة سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف حوراء».

وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين: إما أن يكون في غاية الجهل والحمق. وإما أن يكون زنديقاً قصد التنقيص بالرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب هذه القواعد، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله ﷺ، وحفظه ومقارنة طرقه، فأصبحوا يعرفون - لكثرة ممارستهم هذا - ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه، وفي هذا يقول ابن الجوزي: (الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم، وينفر منه قلبه في الغالب<sup>(٣)</sup>) ويقول الربيع بن خثيم التابعي الجليل - أحد أصحاب ابن مسعود-: «إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها<sup>(٤)</sup>».

هذه أهم القواعد التي وضعها جهابذة علم الحديث لتمييز الموضوع من الصحيح، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعية، وصنفوها حتى

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١١٨.

(٢) المنار ص ١٩.

(٣) الباعث الحثيث ص ٩٠.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٦٢، والمحدث الفاضل ص ٦٣: أ، وانظر: الكناية ص ٤٣١: وذكر الربيع ابن خثيم في بعض المصادر (خثيم) كما في كتاب (الجمع بين رجاء الصحيحين) ص ١٣٤ ج١ والصواب (خثيم) كما في طبقات ابن سعد ص ١٢٧ ج٦ وغيره.

تعرف لأهل العلم ولا تشتهه عليهم، ونلاحظ أن هذه القواعد تناولت الحديث  
سندا وممتنا، فلم تقتصر جهود العلماء على نقد سند الحديث فقط دون ممتنه، كما  
ادعى بعض المستشرقين وأيدهم في ذلك بعض الكاتين المسلمين، وسنتعرض  
بعض آرائهم في هذا الموضوع، ليظهر لنا بطلان ما ادعو وزيف ما زعموا على  
ضوء ما بيناه.

\*\*\*

## الفصل الثالث

### آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها

أولاً: رأى جولد تسيهر: يقول الدكتور على حسن عبد القادر: (وهنا مسألة جد خطيرة، نجد من الخير أن نعرض لها ببعض التفصيل، وهى (وضع الحديث) فى هذا العصر، ولقد ساد إلى وقت قريب فى أوساط المستشرقين الرأى القائل «بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول والثانى، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام فى عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج»، ويقول فى الهامش هذا الرأى الذى تنقله هو رأى جولد تسيهر فى كتابه «دراسات إسلامية»<sup>(١)</sup>. وقد انتشر رأى (جولدتسيهر) هذا فى الغرب والشرق وأصبح من مسلمات البحث عند المستشرقين، كما أن (جولدتسيهر) نفسه بين رأيه فى السنة واضحاً فى كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام». فقد قال: (ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول، أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصيل، يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة فى ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه. فالحق أن كل فكرة، وكل حزب وكل صاحب مذهب، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له فى الرأى يسلك أيضاً هذا الطريق، ومن ذلك لا يوجد فى دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأياها بحديث أو بجملة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة. ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر، ومن أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته،

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى: ١٢٦، ١٢٧، وانظر: دائرة المعارف الإسلامية مادة (حديث) و Shorter Encyclopadia of Isiam by H.A.R. Gibb and J. H. Kramers P, 116

وهو علم نقد الحديث، لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا، تلك التي تجد لها مجالاً كبيراً في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكناً.

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولاً، وكان ذلك في القرن السابع الهجري، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعاً من الأحاديث كانت مبعثرة، وأوها أحاديث صحيحة<sup>(١)</sup>.

إن سوء ظن هذا الباحث في السنة ظهر في طيات كتابه المذكور، في أبحاث ونقاط كثيرة، وإنما استشهدت ببعض ما يتناول بحثنا، ويتجلى لنا مما أوردت عن جولد تسيهر ما يلي:

١- يرى أن أكثر الحديث نتيجة للتطور الإسلامي السياسي والاجتماعي أي أنه موضوع.

٢- يرى أن رجال الإسلام القدامى (الصحابة والتابعين) كان لهم يد في وضع الأحاديث.

٣- إن بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة يسمح لأصحاب المذاهب أن ينتحلوا الأحاديث لدعم مذاهبهم، بل ما من مذهب نظري أو عملي إلا وقد عزز رأيه في مختلف النواحي العقائدية أو الفقهية أو السياسية حتى في العبادات بأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة.

٤- وجهة نظر النقاد المسلمين تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلمون بصحة كثير من الأحاديث التي قرر المسلمون صحتها.

٥- يصور الكتب الستة بأنها ضم لأنواع من الأحاديث التي كانت مبعثرة رأى جامعوها أنها صحيحة.

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام: ٤٩، ٥٠.

هذه النقاط الخمسة هي خلاصة رأى جولد تسيهر فى الوضع والنقد، وله آراء كثيرة متفرقة خارجة عن إطار بحثنا<sup>(١)</sup>، وستناقش هذه النقاط بإيجاز على ضوء ما سبق أن أثبتناه.

١- إن ما ادعاه من أن أكثر الحديث نتيجة للتطور غير صحيح، لأن المسلمين منذ القرن الأول ومن عهد الصحابة كانوا يتثبتون فى قبول الأحاديث، وكانوا يتبعون الكذابين والوضاعين، وعرفوا الأحاديث الموضوعية والصحيحة. ثم إن القرآن الكريم قد جاء بالقواعد الكلية التى تناسب كل زمان ومكان ولم يتعرض للجزئيات وطرق تنفيذها التى يمكن أن تبدل وتتغير حسب البيئة والزمان دون أن تؤثر على القواعد الكبرى والأهداف العليا للإسلام، وترك الله تعالى للحكام وسائل التطبيق والتنفيذ فى ظلال الكتاب والسنة والأصول التى تليها. فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى اختلاق أحاديث تبرر ما يقومون به نتيجة لحياتهم الجديدة، فقد كفاهم الله عز وجل هذا بما شرعه لهم من أسس وقواعد خالدة إلى يوم الدين، رضيتها لهم ورضوها لأنفسهم، وقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٢- يرى أن رجال الإسلام القدامى لهم يد فى الوضع. فمن هم رجال الإسلام القدامى إذا لم يكونوا الصحابة والتابعين؟ فإذا كان يقصدهم فإننا قد بينا فيما سبق احتراز الصحابة عن ذلك وعدم انغماس كبار التابعين فى حمأة الوضع فلا داعى للتكرار.

٣- إذا كان بعض أهل الأهواء قد استجازوا الكذب على رسول الله ﷺ لدعم أهوائهم فهذا لا يعنى قط أن أصحاب المذاهب الفقهية والسياسية والعقائدية قد اختلقوا الأحاديث لدعم مذاهبهم، ثم لم يظن السوء بهذه المذاهب؟ ولم يدعى كذبها ووضعها بعض الأحاديث؟ يجب أن يعلم كل إنسان أن الاختلافات الفقهية بين الصحابة أو الفقهاء لم يكن مردها هوى فى النفس أو تعصبا فى الرأى، وإنما

(١) تصدى الدكتور مصطفى السباعى للمستشرقين ورد عليهم فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ورد على جولد تسيهر ردا قيما فليراجع هناك ص ٣٦٤ وما بعدها.

كانت لأسباب كثيرة أهمها أن بعض الأحاديث وصلت إلى الأئمة دون بعض فحكّموا بها، أو أنها وصلتهم ولكنها ثبتت عند بعضهم ولم تثبت عند الآخرين، أو أنها ثبتت عند الجميع واختلفوا في الاستنباط منها وما إلى هذا<sup>(١)</sup>، فالفقهاء جميعا متفقون على اتباع سنة رسول الله ﷺ. فهل يعقل من هؤلاء أن يكذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لدعم مذاهبهم؟! وإنما قامت مذاهبهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وشربت من ينبوع الرسول الصافي عليه الصلاة والسلام.

إن تعميم جولد تسيهر لم يبين على دراسة موضوعية للمذاهب الفقهية والعقائدية بل اكتفى بما وجدته عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعية، أو بما رآه في كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التي دُسَّ فيها بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، ثم أُلصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جريا وراء هواه، لدعم رأيه في وضع أكثر الأحاديث.

٤- إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التي وضعوها في نقدهم، وقد رأينا دقتها وعرفنا قيمتها، فمن الطبيعي أن تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب، الذين لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ ولا يعتقدون الإيحاء إليه، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية، لأن كثيرا من الأحاديث التي تتناول العقائد والغيبات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمي، وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق، فاختلف وجهه نظرهم لا يضيرنا مادما قد سلكتنا في نقدنا وبحثنا أسلم طرق البحث العلمي وأدقها، وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم.

٥- أما رأيه في الكتب الستة: أنها مجموعة من الأحاديث التي ضمها مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة في القرن الثالث، ورأوا أنها صحيحة - فهذا رأى مردود، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التي بذلوها خلال القرن الأول والثاني في سبيل صيانة السنة وحفظها، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة، بل كان معظمها عمليا، يطبقه

(١) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية وهي رسالة صغيرة جليلة القدر عظيمة النفع.

المسلمون، و يقيمون تعاليم رسول الله ﷺ على هداه، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين، أو على موطن الإسلام الأول، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في القرن الأول والقرون التالية، وذاعت في الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام، وانتقلت السنة العملية والقولية والتقريرية، جيلا عن جيل، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت في كتب مصنفة، وفي أجزاء مبوبة في منتصف القرن الثاني الهجري على أيدي كبار العلماء والحفاظ، وإن ما جمعه البخاري ومسلم وغيرهما في القرن الثالث لم يكن مبعثرا، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التي كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة وسيوضح هذا لنا جليا عندما نتكلم عن تدوين السنة.

\*\*\*

ثانيا: رأى غاستون ويت: كاتب مقال (الحديث) في التاريخ العام للديانات.

أورد غاستون ويت رأى جولد تسيهر السابق وأيده<sup>(١)</sup>، وتعرض لتقد الحديث فقال: «وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض. ثم يقول: لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة، ثم جمعه الحفاظ ودونوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا «المتن» ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئا عليه في أثناء روايتهم (لأنه كان بالمشافهة)، ومهما كان هذا الرأي صحيحا فإن المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح<sup>(٢)</sup>».

\*\*\*

(١) انظر : Hstoilre Générale Des Religons (Islam) P. 366

(٢) Histolre Générale Des Religon S ,P, 465. (Islam)

## ثالثا: رأى الأستاذ أحمد أمين:

قال: (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها، ولكنهم - والحق يقال - عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن، فقل أن نظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي ﷺ لا يتفق والظروف التي قيلت فيه، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المؤلف المألوف في تعبير النبي، أو أن الحديث أشبه فسى شروطه وقيوده بمتون الفقه، وهكذا، ولم نظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم، حتى نرى البخارى نفسه - على جليل قدره، ودقيق بحثه - يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال، كحديث: «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة» وحديث «من اصطبح كل يوم سبع ثمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل»<sup>(١)</sup>).

إن ما ذكره (غاستون ويت) والأستاذ أحمد أمين - فيه حيف وظلم للجهود التي بذلها علماء السنة لحفظ الحديث الشريف وتخليصه من كل ما يشوبه فإن علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا نقد متنه، وإن الجهود التي بذلوها في نقد المتن لا تقل عن جهودهم في نقد السند، وقد لمسنا تلك الجهود حينما استعرضنا القواعد التي وضعوها لتمييز الموضوع من الصحيح، ونستطيع أن نرد على كل من يدعى أن نقد العلماء كان منصبا على (السند) دون (المتن) بأنهم - كما وضعوا علامات لتمييز السند الضعيف من السند الصحيح - وضعوا علامات تميز متن الخبر الموضوع عن غيره، وهذه العلامات ثمانية للمتن وأربعة للسند، كما ثبت لدينا، فهل بقيت مع هذا حجة لدعم ذلك الزعم؟!

وأما ما ادعاه (غاستون ويت) من زيادة الرواة شيئا على ما يروونه عن حسن نية، فهذا مدفوع بما حققه العلماء في أبحاثهم الدقيقة عن زيادة الراوى شيئا على الخبر، وبينوا أن هذه الزيادة قد تكون في المتن أو في الإسناد<sup>(٢)</sup>، وما يضيفه

(١) فجر الإسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) انظر: الباعث الخبيث ص ٨٠ .

الراوى يسمى (المدرج) والإدراج على الحقيقة إنما يكون فى المتن، وبينوا صور المدرج ونصوا على كثير من إدراجات الرواة، فلم يلتبس على علماء الأمة المدرج، بل عرفوا كل ذلك.

ومعظم ما أدرج كان نتيجة لتفسير الشيخ، يسمعه الطالب فيظنه من الحديث.

وقد عرف العلماء هذا، وبينوا أن ما يقع من الراوى خطأ من غير عمد فلا حرج على المخطئ إلا إن كثر خطؤه، فيكون جرحاً فى ضبطه وإتقانه<sup>(١)</sup> ويعرف ما أدرجه الراوى بإقراره، أو بمقارنة طرق الخبر، فيتبين بهذه المقارنة ما أدرج من قبل الراوى. وقد عرف النقاد هذا كله ونصوا عليه.

وأما ما قاله الأستاذ أحمد أمين من أن (البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة، لاقتصاره على نقد الرجال). فهذا حكم لا نوافقه عليه ولا نقول به، لأن ما استشهد به لعدم رأيه لا يثبت هذا بل يعارضه، بل إن حديث «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة» صحيح، وقد فهمه الأستاذ فهما مخالفاً للحقيقة، وذهب فى تأويله مذهبا بعيدا كل البعد عن الصواب، فقد روى هذا الحديث من طرق عدة فسر بعضها بعضا، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله ﷺ لن يبقى أحد ممن كان موجودا فى عهده ﷺ حين قال هذا النبأ، وفعلا كان هذا الخبر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبق أحد ممن كان فى عهده عليه الصلاة والسلام أكثر من مائة عام، فكل ما فى الأمر أن رسول الله ﷺ بين لأصحابه أنهم لن يعمرؤا كما عمر من قبلهم من الأمم<sup>(٢)</sup>، ولذلك عليهم أن يجدوا فى طاعتهم، ويعملوا فى دنياهم لآخرتهم

(١) انظر: الباعث الحثيث ص ٨٤.

(٢) انظر: فتح البارى ص ٢٢٢ ج ١ ذكر البخارى بعض الحديث وبين ابن حجر أقوال العلماء فيه وأشار إلى الحديث كاملا فى (كتاب الصلاة) حيث تفسيره واضح كما بينا، وانظر: تأويل مختلف الحديث ص ١١٩، وانظر: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٥٩-٢٦٣ حيث فند الدكتور السباعى أخطاء الأستاذ أحمد أمين ورد عليه ردا مفصلا.

وليس في هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والمشاهدات التجريبية، ويقول الدكتور مصطفى السباعي: (فأنت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول ﷺ ينقلب في منطق النقد الجديد الذي دعا إليه صاحب فجر الإسلام إلى أن يكون مكذوبا مفترى!)<sup>(١)</sup>.

وأما حديث «من اصطبغ كل يوم سبع ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل» فقد أخرجه الإمام البخاري في (كتاب الطب)<sup>(٢)</sup> كما أخرجه الإمام مسلم<sup>(٣)</sup> والإمام أحمد<sup>(٤)</sup>، وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المفيدة بذلك ومنهم من أطلقه، والذي ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة، قال ابن القسيم في زاد المعاد: «والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة، ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به... ونفع هذا العدد من التمر، من هذا البلد، من هذه البقعة بعينها - من السم والسحر بحيث تمنع إصابته - من الخواص التي لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانتقياد مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن، فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض. هذا خلاصة ما ذكره في هذا المقام.

والذي أراه أن المبادرة إلى تكذيب حديث ورفضه لا تصح، إلا إذا وهن طريقه، أو حكم العقل والطب حكما قاطعا بتكذيبه وبطلانه، وهذا الحديث قد صح سنده من غير طريق عن أئمة الحديث، ورواه ثقات عدول لا مجال لتكذيبهم ومتمنه صحيح على وجه الإجمال، إذ أثبت للعجوة فائدة، وحض على أكلها ومن المقرر حتى في الطب الحديث أن العجوة مغذية، مليئة للمعدة، منشطة للجسم، مبيدة للديدان المنتشرة فيه، ولا شك في أن الأمراض الداخلية: من تعفن الأمعاء

(١) السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي ص ٢٦١.

(٢) صحيح البخاري بشرح السندي ص ٢٠ ج ٤.

(٣) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣.

(٤) في مسنده حديث ١٤٤٢، ١٥٢٨، ١٥٧١، ١٥٧٢ ج ٣.

وانتشار الدايدان - سموم تودى بحياة الإنسان إذا استفحل أمرها، وإذا فالحديث من حيث معالجة العجوة للسموم بالجملة صادق لا غبار عليه، أما السحر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسى، وأنه يحتاج إلى علاج نفسى وأن الإيحاء النفسى له أثر كبير فى شفاء المرضى بمثل تلك الأمراض، وإذا أخذنا العجوة على أنها مغذية مفيدة للجسم، مقوية للبنية، قاتلة للديدان، قاضية على تعفن الفضلات وأنها من عجوة المدينة، مدينة النبي ﷺ، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فلا أشك فى أن ذلك يحدث أثراً طيباً فى نفس المسحور.

(إنك لا تشك معى فى أن إقدام مؤلف «فجر الإسلام» على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة منه، لا يمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال، مادام سنده صحيحاً بلا نزاع، وما دام متنه صحيحاً على وجه الإجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة ويقينى أنه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية، أو لو كان تمر العالية موجوداً عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة، إن لم يكن اليوم ففى المستقبل إن شاء الله<sup>(١)</sup>. انتهى ما نقلناه عن الدكتور مصطفى السباعى.

ولم يكتف الأستاذ أحمد أمين بما ذكرناه، بل حاول أن يستشهد بأحاديث عدة على اكتفاء النقاد بنقد السند دون المتن، إلا أنه لم يوفق إلى إثبات ما ادعى بما استشهد به، وما من حديث استشهد به إلا فند العلماء القول فيه، وبينوا طرقه، وأزالوا كل ما قد يستشكله الباحثون وأهل الأهواء<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦٣ - ٢٦٦.

(٢) رد أستاذنا الدكتور مصطفى السباعى على الأستاذ أحمد أمين جميع شبهاته رداً علمياً قوياً فليراجع فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢١٢ - ٣٠٣ وما يتعلق بموضوعنا هذا من ٢٦٦ - ٢٧١.

## الفصل الرابع

### أشهر ما ألف في الرجال والموضوعات

وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث

كان لظهور الوضع أثر بعيد في نفوس العلماء حملهم على بذل تلك الجهود العظيمة للمحافظة على الحديث، وكان الوضع من الأسباب القوية التي دفعت العلماء إلى جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه، حرصا منهم على صيانه من عبث الوضاعين. وقد عبر الإمام الزهري عن هذا فقال: (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرك لنكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا، ولا أذنت في كتابته<sup>(١)</sup>).

فصلت القول في جمع الحديث الشريف وتصنيفه في الباب الرابع من هذا الكتاب، وفيه يتجلى لنا اهتمام العلماء بجمع الحديث، وتخليصه من الموضوع، ثم حرصهم على تصنيف الصحيح منه.

والآن سنستعرض آثار العلماء فيما صنفوه من كتب كان لها الأثر الطيب في حفظ الحديث النبوي، فيما يتناول موضوعنا من الرجال وتاريخهم وأحوالهم، وكناهم وألقابهم وأنسابهم وضبط أسمائهم، وبيان الثقات والضعفاء منهم، وما ألف في الموضوع وغير ذلك. وإن كان قد ألف بعد هذا العصر. مما كان له فضل في صيانة الحديث. وتعتبر هذه المؤلفات حصنا منيعا حول الحديث، تتحطم على جنباته سهام أعداء السنة، وستبقى أعظم دليل على اهتمام المسلمين بسنة رسولهم ﷺ ومساهماتهم في بناء تراث الإنسانية العلمي.

وقد اعتنيت بجمع هذه المؤلفات، وحاولت حصرها مما طالعته من المطبوع منها والمخطوط، ومما ذكره السيد محمد الكتاني في كتابه (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) الذي ذكر فيه مؤلفات كثيرة في الحديث وعلومه. وما ذكره الأستاذ عمر كحالة في كتابه (معجم المؤلفين) وما ذكره الأستاذ خير الدين الزركلي في (الأعلام)، وما مر على من كتب لبعض علماء الحديث ورواته

(١) تقييد العلم ص ١٠٨.

فى طيات تراجمهم مما لم يذكر فى هذه الكتب وما وجدته فى فهارس دور الكتب - وكان من العسير حصر جميع ما ألف فى موضوعنا هذا - وإذا بى أمام ثروة علمية ضخمة تروى على نيف وخمسين ومائتى مؤلف، ورأيت المقام يضيق عن ذكرها، ولهذا فضلت أن أكتفى بذكر بعض المشهور منها.

### أولاً: أشهر الكتب التى ألفت فى الصحابة:

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له صحبة، وخاصة من عانى منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول ﷺ، وكانوا يحفظون أسماء كثير منهم، وقد حرص العلماء على حصرهم، وبيان مروياتهم وأحوالهم وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم، وقد جمعت قريبا من أربعين مؤلفا فى الصحابة منها:

١- (معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) فى خمسة أجزاء للإمام الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبى الحسن على بن عبد الله المدينى (١٦١-٢٣٤هـ<sup>(١)</sup>).

٢- (كتاب المعرفة) فى مائة جزء وهو فى معرفة الصحابة للإمام أبى محمد عبد الله بن عيسى المروزى مفتى مرو وعالمها (٢٢٠-٢٩٣هـ<sup>(٢)</sup>).

٣- (كتاب الصحابة) فى خمسة أجزاء للإمام محمد بن حبان أبى حاتم البستى (٢٧٠-٣٥٤هـ<sup>(٣)</sup>).

٤- (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري القرطبي المالكي (٣٦٨-٤٦٣هـ)، وقد طبع فى مجلدين بالهند سنتى (١٣١٨، ١٣١٩هـ)، ثم طبع أخيرا فى أربعة أجزاء بمصر، وقد سماه بهذا الاسم ظنا منه أنه استوعب الأصحاب، ولكنه فاته كثير منهم، وفيه خمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة<sup>(٤)</sup>.

(١) الرسالة المستطرفة ص ٩٥.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٥، ومعجم المؤلفين ص ١٣٥ ج ٦.

(٣) الأعلام ص ٣٠٦ ج ٦.

(٤) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح الحديث ١٥٩، ١٦١، ٢٥٧) كما طبع الاستيعاب على هامش كتاب الإصاية فى مصر سنة (١٣٢٨هـ) فى أربعة مجلدات، يوجد منها فى دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت رقم (مصطلح الحديث: ٢٢٩، ٢٣٠). واختصر الاستيعاب العلامة محمد ابن يعقوب الخليلي فى كتاب سماه (إعلام الأصابة بأعلام الصحابة) مخطوط فى دار الكتب تحت الرقم (١٠٩ مصطلح). وذيل غير واحد على الاستيعاب.

٥- (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) فى خمسة مجلدات للمؤرخ عز الدين أبى الحسن على بن محمد (ابن الأثير) (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)، وطبع الكتاب سنة (١٢٨٦هـ<sup>(١)</sup>) فى مصر، وفى سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون ترجمة.

٦- (تجريد أسماء الصحابة) فى جزأين للإمام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى (٦٧٣-٧٤٨هـ)، وقد طبع بالهند سنة (١٣١٠هـ<sup>(٢)</sup>).

٧- (الإصابة فى تمييز الصحابة) للإمام شهاب الدين أحمد بن على الكنانى العسقلانى (ابن حجر) صاحب التصانيف الكثيرة (٧٧٣-٨٥٢هـ) وهو أجمع ما كتب فى هذا الباب، وقد طبع سنة (١٨٥٣م) بالهند، ثم طبع فى مصر سنة (١٣٢٣هـ) فى ثمانية أجزاء، جعلت الستة الأولى منها للأسماء، وفيها (٩٤٧٧) ترجمة والمجلد السابع للكنى، وفيه (١٢٥٧) كنية والمجلد الثامن فى تراجم النساء، وهن (١٥٤٥) ترجمة<sup>(٣)</sup>.

٨- (الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة) للشيخ يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى (٨١٦ - ٨٩٣هـ) وقد طبع فى (٩٢) صفحة بالهند سنة (١٣٠٣هـ<sup>(٤)</sup>).

٩- (در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة) لخاتمة الحفاظ جلال الدين: عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ - ٩١١م). وهو جزء صغير طبع فى أول كتابه (حسن المحاضرة) بمصر سنة (١٣٢٧هـ).

١٠- (البدر المنير فى صحابة البشير النذير) للشيخ محمد قائم بن صالح السندى الحنفى القادرى، كان حيا قبل سنة ١١٤٥هـ، وقد ذكر فى كتابه أسماء

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ١٠٣).

(٢) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ٢٦٣).

(٣) النسخة التى وصفناها مطابقة لنسخة الهند، محفوظة فى خزانة قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية، وطبعت الإصابة طبعا أخرى مختلفة منها طبعة مصر سنة ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م.

(٤) ذكر فى هذا الكتاب من له رؤيه للرسول ﷺ ورواية فى الصحيحين، وقد رتبته على الحروف، وذكر ما روى له الشيخان فى كتابهما ثم ما اتفقا عليه ثم ما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم وذكر للصحابى من روى عنه من أصحاب الكتب الأربعة. راجع الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية (مصطلح ١٦٢) وهو كتاب مفيد.

الصحابة الذين وردت صحبتهم بطريق الرواية أو بما يدل على الصحبة بأى طريق (١).

وهناك كتب كثيرة استقت من هذه الأصول، كما اختصر بعض العلماء بعض هذه الكتب أو ذيلوا عليها.

فهناك ذبول على (الاستيعاب) لابن عبد البر، كذيل ابن فتحون الأندلسي (-٥١٧هـ)، وذيل أبي الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد (-٥٥٨هـ)، وغيرها من الذبول والمختصرات (٢).

كما اختصر الإمام السيوطي كتاب الإصابة، وسماه (عين الإصابة في معرفة الصحابة) (٣).

### ثانيا: أشهر ما صنف فى تواريخ الرجال وأحوالهم:

وإذا انتقلنا إلى أخبار الرواة وأحوالهم نرى مصنفات مختلفة المنهج.

فمن المحدثين والمؤرخين من صنف كتبه على ترتيب السنين، ومنهم من صنف حسب البلدان، ومنهم من رتب كتبه على الحروف، كما هى الحال فى كتب التراجم، وآخرون جعلوا الرجال على طبقات أو أجيال.

وتفاوتت هذه المصنفات بين إسهاب واختصار، فترى الإيجاز فى كتب التراجم، والتفصيل فى التواريخ الكبيرة كتاريخ دمشق، وتاريخ بغداد، وتاريخ الإسلام، وقد جمعت نيقتا وتسعين كتابا أقتصر على ذكر أشهرها، فنستعرض أولا أشهر

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضا (تيسير المرام بذكر صحابه أفضل من طاف ببيت الله الحرام أو شمس الهدى فى صحابة المصطفى المفتدى) وهو مخطوط فى (٢٨٧) ورقة مسطرتها ٢١ سطرا: ١٢×٢١ سم توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح: ٣٢٥).

(٢) اختصر الشيخ محمد بن محمد السندروسى الشافعى الطرابلسى (-١١٧٧هـ) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وسماه (الشموس المضية فى ذكر أصحاب خير البرية) وهو مرتب على حروف المعجم حذف منه التطويل فى ذكر الأنساب والأشعار. وذكر فيه ما للصحابة من أحاديث فى الصحيحين أو فى أحدهما. والكتاب مخطوط فى (٣١٨) ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا: ١٤×٢٠ سم. فى دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح: ١٣٠).

(٣) الرسالة المستترفة ص ١٥٣.

ما كتب في التاريخ والتراجم التي تناولت أحوال الرجال، ثم تناول بالبحث كتب الطبقات.

## أ- كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم:

١- (تاريخ الرواة) للإمام يحيى بن معين (١٥٨-٢٣٣هـ) وهو مرتب على حروف المعجم<sup>(١)</sup>، وله أيضا (معرفة الرجال) و (التاريخ والعلل)<sup>(٢)</sup>.

٢- (التاريخ) في عشرة أجزاء للمحدث النسابة الإخباري خليفة بن خياط الشيباني العصفري (-٢٤٠هـ)<sup>(٣)</sup>.

٣- (التاريخ) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)<sup>(٤)</sup>.

٤- (التاريخ الكبير) لسيد الحفاظ وأميرهم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أبي عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦هـ) وهو تاريخ عظيم ذكر فيه أسماء من روى عنه الحديث، وكأنه حاول استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه، فبلغ عددهم قريبا من أربعين ألفا، بين رجل وامرأة وضعيف وثقة<sup>(٥)</sup>، وقد قدر شيوخه ومعاصروه تاريخه هذا، حتى إن شيخه الإمام إسحاق بن إبراهيم (ابن راهوية) لما رأى التاريخ لأول مرة فرح به كثيرا، ودخل به على الأمير عبد الله ابن طاهر فقال: «أيها الأمير ألا أريك سحرا<sup>(٦)</sup>». والكتاب في أربعة أجزاء كبيرة، رتبته على حروف المعجم<sup>(٧)</sup>، وفيه قال التاج السبكي: (إنه لم يسبق إليه، ومن

(١) انظر: الرسالة المستطرفة ص ٩٦، ٩٧، وتاريخه معروف باسمه (تاريخ ابن معين).

(٢) انظر: معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١٣.

(٣) انظر: الأعلام ص ٣٦١ ج ٢.

(٤) الأعلام ص ١٩٢ ج ١.

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩٦.

(٦) مقدمة فتح الباري ص ٤٨٤.

(٧) بدأ بالمحمدين تعظيما لاسم الرسول ﷺ، وتوج غرة كتابه باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريفين. وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء في الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا في الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا. ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر (باب إبراهيم ثم باب إسماعيل، ثم باب إسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم باب إياس وهكذا ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له، وقلما يذكر جرحا أو تعديلا وإذا كان صحابيا أشار إلى ذلك).

ألف بعده فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعىال عىله<sup>(١)</sup> وطبع التاريخ الكبىر فى ثمان مجلدات فى حىدر آباء<sup>(٢)</sup> سنة (١٣٦١-١٣٦٢هـ)، وله أىضا التاريخ الوسط والصغىر، وقد طبع التاريخ الصغىر بالهند سنة (١٣٢٥هـ) وهو ثمانية أجزاء صغىرة فى مجلد واحد<sup>(٣)</sup>.

٥- (التارىخ الكبىر) للمؤرخ الأندلسى أحمد بن سعىد بن حزم الصدفى أبى عمر (٢٨٤ - ٣٥٠هـ) وهو فى المحدثىن، قال ابن الفرضى: بلغ الغاية، وقال ابن خىر: خمسة وثمانون جزءا<sup>(٤)</sup>.

٦- (الهداية والإرشاد فى معرفة أهل الثقة والسداد) لأبى النصر أحمد ابن محمد بن الحسین الكلاباذى (٣٠٦ - ٣٩٨هـ) ذكر فىه الذىن خرجهم الإمام البخارى فى جامعه<sup>(٥)</sup>.

٧- (تارىخ نىسابور) لمحمد بن عبد الله الحاكم النىسابورى، المعروف بابن البىع (٣٢١ ... ٤٠٥هـ) قال فىه السبكى: وهو عندى من أعود التوارىخ على الفقهاء بفائدة، ومن نظره عرف تفنن الرجل فى العلوم جمىعها<sup>(٦)</sup>، وله أىضا (تراجم الشىوخ)، و (تسمى من أخرجهم البخارى ومسلم)<sup>(٧)</sup>.

(١) الرسالة المستطرفة ص ٩٦.

(٢) انظر: الجزء الأول مطبوعا فى مجلدىن فىهما (٢٨٩٤) ترجمة فى خزانة دار الكتب المصرىة تحت رقم (ح ١٠٣٤٠) وىوجد من التارىخ الكبىر فى دار الكتب المصرىة الأجزاء (١، ٢، ٤) مصورة فى ستة مجلدات عن النسخة المخطوطة بمكتبة آيا صوفىا بالآستانة، ىتتهى الجزء الأول والثانى منها فى آخر باب انطاء وىبتدى الرابع من ترجمة عباس إلى آخر الكتاب. راجع النسخة تحت الرقم (تارىخ: ١٨٩٠).

(٣) توجد عدة نسخ منه فى دار الكتب المصرىة منها تحت الرقم (تارىخ ٤٠٢، ٢٧٠٧) ..

(٤) انظر: الأعلام ص ١٢٦ ج ١، ومعجم المؤلفىن ص ٢٣٢ ج ١.

(٥) توجد منه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرىة منها نسخة كاملة تحت الرقم (١٦ مصطلح) تم نسخها سنة (٨٢٥هـ) فى (٢١٥) ورقة ومسطرتها ١٧ سطرا: ١٧×١٣ سم ونسخة ثانية مقابلة ومعارضة تحت الرقم (٧٦ مصطلح) تم نسخها فى سنة (٥٤٤) وفى أول هذه النسخة نقص. ورتبه على حروف المعجم وىبدأ باب الألف بمن اسمه أحمد وىاب المىم بمن اسمه محمد تشرىفا لاسمه ﷺ.

(٦) ومما یوسف له أن الكتاب مفقود، وقد اطلعت على قطعة منقولة ومنتخبة منه فى (٧٤) لوحة فى فىلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تارىخ)، فى معهد المخطوطات بالجامعة العربىة.

(٧) الأعلام ص ١٠١ ج ٧، والرسالة المستطرفة ص ٩٩.

٨- (تاريخ بغداد) لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي الشافعي المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٩٣هـ) وهو من أجل الكتب وأعودها فائدة، ذكر فيه رجالها ومن ورد إليها وضم إليه فوائد جمعة، وقد رتبته على حروف المعجم، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين، وعليه ذبيلات متعددة، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٩هـ - ١٩٣١م) في أربعة عشر جزءا تضم (٧٨٣١) ترجمة.

٩- (السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد) للخطيب البغدادي أيضا<sup>(١)</sup>.

١٠- (الجمع بين رجال الصحيحين): صحيح البخاري ومسلم للإمام الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني (٤٤٨-٥٠٧هـ) جمع فيه بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر أحمد بن علي الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم. وطبع هذا الكتاب بالهند سنة (١٣٢٣هـ) في (٦٣٨) صفحة في مجلدين<sup>(٢)</sup>. وللمؤلف أيضا (تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) مجلدان و (إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسمه من النساء والرجال)<sup>(٣)</sup> وله (المغنى في أسماء رجال الحديث) طبع في آخر (تقريب التهذيب) بالهند سنة (١٣٢٠هـ).

١١- (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا أو أكثر<sup>(٤)</sup>، للحافظ المؤرخ أبي القاسم

(١) انظر: المخطوط رقم (٣٨١) مصطلح) في دار الكتب المصرية وهو في (١٤٨) لوحة مصورة، يذكر في هذا الكتاب من روى عنه راويان أو أكثر وبين وفاتيهما أمد كبير مثال ذلك (أحمد بن محمد بن حنبل... وحدث عنه أبو عبد الله بن إدريس الشافعي... وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، وبين وفاتيهما مائة وثلاث عشرة سنة).

(٢) انظر: نسخ دار الكتب المصرية منها تحت رقم (١٧١، ٢٦٤) مصطلح وقد استدرج المقدسي في كتابه هذا ما فات الكلاباذي والأصبهاني، واختصر بعض ما يستغنى عنه من الطويل، ورتبه على حروف المعجم، وابتدأ حرف الألف بمن اسمه (أحمد) وحرف الميم بمن اسمه (محمد) تبركا باسمه ﷺ، ويترجم أولا لمن اتفقا عليه ثم لمن أفردته البخاري ثم لمن أفردته مسلم.

(٣) الأعلام ص ٤١ ج ٧.

(٤) انظر: الرسالة المستطرفة ص ٩٩ وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من حل دمشق من أمثال البرية، واجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل والمزية... والفقهاء والقضاة العلماء... وإيراد ما ذكره من تعديل وجرح وحكاية عنها... وقد رتبته على التراجم وبدأ بمن اسمه (أحمد) تبركا باسمه ﷺ، وسلك في تأليفه مسلك الخطيب البغدادي في تاريخه، يوجد منه في دار الكتب المصرية في قسم المخطوطات (٣٧ مجلدا).

على بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقي (٤٩٩-٥٧١هـ) وهو كتاب عظيم جامع، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر)، طبع منه سبعة أجزاء في دمشق ابتداء من سنة (١٣٢٩هـ) ولابن عساكر أيضا (تاريخ المزة)، و (معجم النسوان)، و (معجم الشيوخ والنبلاء<sup>(١)</sup>)، و (المعجم المشتمل على أسماء الكتب الستة)، قال في مقدمته: أما بعد، (فإني لما أخرجت أحاديث كتب السنن للأئمة الأول ورتبتها ترتيبا لا يفضى بالناظر إلى السامة والملل، رأيت أن أجمع أسماء شيوخهم الثقات النبل، وأضيف إليها أسماء شيوخ البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>).

١٢- كتاب (الكامل في أسماء الرجال) في مجلدين<sup>(٣)</sup> للحافظ أبي محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الحنبلي الدمشقي (٥٤١ - ٦٠٠هـ).

١٣- (جامع الأصول لأحاديث الرسول<sup>(٤)</sup>) لمجد الدين أبي السعادات: مبارك ابن محمد المعروف بابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦هـ).

١٤- (المعجم) في تاريخ المحدثين في ثمانية عشر جزءا. لأبي المظفر عبد الكريم بن منصور السمعاني (.. - ٦١٥هـ<sup>(٥)</sup>).

١٥- (التدوين في ذكر أخبار قزوين) لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (٥٥٧ - ٦٢٣هـ) ذكر فيه خصائصها، وما ورد فيها من الأخبار النبوية والآثار، وفي أسمائها، ومن وردها من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن عرف بنوع من العلم والدراسة من سكانها وأهلها، ومن توطنها وغيرهم، ورتب

(١) انظر: الأعلام ص ٨٢ ج ٥.

(٢) راجع مخطوطة دار الكتب المصرية (مصطلح: ٣٣٧) وهي في (١٠٠) ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا.

(٣) راجع النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥ مصطلح) وهي ثلاثة أجزاء في مجلدين في (٣٧٧ و ٢٩٠) ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(٤) يوجد من الكتاب المذكور في دار الكتب المصرية مجلد واحد فيه الجزءان التاسع والعاشر، وبه ينتهي الكتاب، وهو في أسماء الرجال والصحابة، في (٢٥٥) ورقة ومسطرتها: ٢٧ سطرا: ١٨٢٧ سم تحت رقم (مصطلح: ٢٢٥ طلعت).

(٥) انظر: الرسالة المستطرفة ص ١٠٣.

التراجم على الحروف وابتدأه بذكر المحمدين تبركا بالرسول الله ﷺ، وهو في أربعة مجلدات مصورة في دار الكتب المصرية<sup>(١)</sup>.

١٦- (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) للحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبي بكر معين الدين: (ابن نقطة) الحنبلى البغدادي (-٦٢٩هـ)<sup>(٢)</sup> وقد ذيل عليه تقي الدين محمد بن أحمد الحسينى الفاسى المكى المالكى (-٨٣٢هـ)<sup>(٣)</sup>.

١٧- (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى الدمشقى (٦٥٤-٧٤٢هـ)؛ وهو تهذيب لما جمعه الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى فى كتابه (الكمال فى أسماء الرجال): رجال البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فرتب المزى فى تهذيبه عامة رواة العلم وحملة الآثار وعامة المشهورين من كل طائفة من طوائف أهل العلم على حروف المعجم، ثم ذكر أسماء النساء، وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ - ٧١٢هـ) وهو خمسون جزءاً فى اثنى عشر مجلداً<sup>(٤)</sup>.

١٨- (تذهيب تهذيب الكمال)<sup>(٥)</sup> للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) وفيه اختصر (تهذيب الكمال) للمزى ثم اختص أيضاً فى كتابه (الكاشف عن رجال الكتب الستة)، واقتصر فيه على من له رواة فى هذه الكتب،

(١) انظر: الكتاب فى خزانة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٤٨: تاريخ).

(٢، ٣) جمع فيه كل من علمه روى شيئاً من كتب السنة كالموطأ والصحيحين والسنن الأربعة، وصحيح ابن حبان ومن المعاجم والمسانيد للإمامين الشافعى وابن حنبل، ومن كتب السير والتواريخ والأدب للبيهقى.

انظر: النسخة الموصوفة فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٠٨٨٦) وهى مصورة فى (٣١٧) لوحة فى كل لوحة صفحتان، ومسطرتها ٢٥ سطراً: ٢٦×٢٢ سم.

(٤) توجد نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقم (٢٥) مصطلح) وقد كتبت العشرة المجلدات الأولى بين سنتى (٧٤٠ و٧٤٨هـ) وعدة أوراق الجميع على التوالى: ٣٩١ / ٤٠٨ / ٣٢٢ / ٤١١ / ٤٥٦ / ٤٠٣ / ٣٧٤ / ٤٢٦ / ٣٩٢ / ٣٧٥ / ٣٥٤ / ٣٣٦ ورقة. وقد استدرك المحدث الحافظ علاء الدين مغلطى (٦٩٠ - ٧٦٢هـ) على ما فات المزى فى (تهذيب الكمال) فى كتاب سماه (إكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) فى (١٣) مجلداً، انظر: معجم المؤلفين ص ٣١٣ ج٢. واختصر تهذيب الكمال وأضاف عليه محمد بن على الحسينى انظر: الأعلام ص ١٧٧ ج٧.

(٥) وهو فى خمسة أجزاء مخطوطة، يوجد منها فى دار الكتب المصرية الأجزاء (١) و (٢) و (٣) و (٥) وهى نسخة مقابلة ومصححة فى حياة المؤلف سنة ٧٣٦هـ أوراقها على التوالى: (٢٢٠ / ٢٤٨ / ٢٠٧ / ١٩٩) =

ووضع رموزاً لمن أخرج له من أصحاب الكتب الستة أو أحدهم أو بعضهم، وذكر تواريخ وفياتهم، ورتبه على حروف المعجم، وبدأ في حرف الألف بالأحمديين، وفي حرف الميم بالمحمديين، تشریفًا لاسمه عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

١٩- (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام) للإمام الذهبي أيضًا.

جمع فيه بين الحوادث والوفيات ورتبه على السنين، فابتدأه من الهجرة النبوية، وانتهى فيه إلى آخر سنة (٧٠٠هـ) وقسمه إلى سبعين طبقة، وجعل كل طبقة عشر سنين، ورتب أسماء كل طبقة على ترتيب حروف المعجم، والحوادث على السنين في ستة وثلاثين مجلدًا<sup>(٢)</sup>، طبع منها في مصر خمسة أجزاء سنة (١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م).

واختصر الذهبي من تاريخه مختصرات منها (سير أعلام النبلاء) في أربعة عشر مجلدًا<sup>(٣)</sup>، طبع منها الجزء الأول والثاني بمصر سنة (١٩٥٧م) والثالث سنة (١٩٦٢م).

٢٠- (التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي (٧١٥ - ٧٦٥هـ)، ضم في كتابه هذا إلى من (في تهذيب الكمال) لشيخه المزني في الكتب الأربعة: الموطأ ومسند الشافعي ومسند أحمد ومسند أبي حنيفة الذي خرج الحسين بن محمد بن خسرو من حديث أبي حنيفة، واقتصر على من في الكتب الستة دون من أخرج لهم مصنفوها في مصنفاتهم الأخرى كالأدب المفرد للبخاري...<sup>(٤)</sup>.

= ورقة ومسطرتها مختلفة. وللحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخرزجي (المتوفى بعد سنة ٩٢٣هـ)

كتاب (خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال) طبع بمصر سنة (١٣٠١) في مجلد.

(١) انظر: النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩ مصطلح) في مجلد عدد أوراقه (٢١٣)

ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرًا: ٢٧ × ٨ سم، وتوجد نسختان أخريان.

(٢) انظر: الأعلام ص ٢٢٢ ج٦، ويوجد منه في دار الكتب المصرية (٣٤) مجلدًا مخطوطًا.

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة ص ١٠١، وفي دار الكتب نسخة مصورة منه.

(٤) انظر: مقدمة تعجيل المنفعة. وكان ابن حجر قد اطلع على الكتاب وتبع ما في كتاب الغرائب عن مالك

وما في معرفة السنن والآثار لليسهقي من الرجال الذين وقع ذكرهم في روايات الشافعي مما ليس في

المسند وما في كتاب الزهد للإمام أحمد مما ليس في مسنده وما في كتاب الآثار لمحمد بن الحسن وسماه

تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) طبع بالهند سنة ١٣٢٤هـ.

٢١- (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وفيه لخص (تهذيب الكمال) للمزى وزاد عليه فوائد كثيرة؛ وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ) في اثني عشر مجلداً ويعتبر (تهذيب التهذيب) من أجمع كتب تراجم رواة الحديث المتداولة بين العلماء في هذا العصر، وأصبحت نسخه نادرة وعزيزة، وقد لخصه ابن حجر في مجلد واحد سماه (تقريب التهذيب في أسماء الرجال) طبع بالهند سنة (١٣٢٠هـ) ثم طبع سنة (١٣٥٦هـ) مع تعقيب التقريب للمولوى أمير على<sup>(١)</sup>.

٢٢- (إسعاف المبطلات برجال الموطأ) للحافظ جلال الدين السيوطى وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٠هـ).

#### ب- كتب الطبقات:

وهى الكتب التى جعل مصنفوها الرجال على طبقات، وذكروا أحوالهم طبقة بعد طبقة إلى عصر المؤلف وقد جمعت نيئاً وعشرين مؤلفاً فى موضوعنا. أقتصر على ذكر أشهرها.

١- (الطبقات الكبرى) للمؤرخ الثقة محمد بن سعد بن منيع الحافظ كاتب الواقدى (المولود سنة ١٦٨هـ والمتوفى سنة ٢٣٠هـ). فقد صنف سيرة الرسول ﷺ، ثم ترجم للصحابة على طبقاتهم، فالتابعين، فمن بعدهم إلى وقته، فأجاد وأحسن، ويعتبر كتابه هذا من أوثق وأهم المصادر الإسلامية فى التاريخ والرجال وقد طبعت الطبقات بمدينة ليدن سنة (١٣٢٢هـ) فى ثلاثة عشر مجلداً خصص الأخير منها للنساء، ووُضع لكل من ترجم لهم ابن سعد فى المجلد الرابع عشر فهرس عام، مما يسهل الرجوع إليه. ولاين سعد أيضاً طبقات صغرى ثانية وثالثة<sup>(٢)</sup>.

(١) كما طبع على هامش (التقريب) كتاب (المغنى فى أسماء رجال الحديث) للعلامة محمد بن طاهر بالهند سنة (١٢٩٠هـ) وهناك طبعات أخرى وظهرت أخيراً طبعة جيدة لتقريب التهذيب طبعت فى القاهرة سنة (١١٣٨٠هـ).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى فى قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية، وانظر: الرسالة المستطرفة ص ١٠٤.

٢- (طبقات الرواة) فى ثمانية أجزاء<sup>(١)</sup> للحافظ أبى عمرو خليفة بن خياط الشيبانى العصفرى (- ٢٤٠هـ) أحد شيوخ البخارى .

٣- (طبقات التابعين) للإمام مسلم بن الحجاج القشبرى (٢٠٤ - ٢٦١هـ)<sup>(٢)</sup> .

٤- كتاب (التابعين) فى اثنى عشر جزءاً، للحافظ محمد بن حبان أبى حاتم البستى، (٢٧٠ - ٣٥٤هـ) وله (أتباع التابعين) و(تباع التابع) كلاهما فى خمسة عشر جزءاً<sup>(٣)</sup> . و(الطبقات الأصبهانية)<sup>(٤)</sup> .

٥- (طبقات المحدثين والرواة) لأبى نعيم . أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى (٣٣٦ - ٤٣٠هـ)<sup>(٥)</sup> .

٦- (طبقات الحفاظ) للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) .

ترجم فيه رواة الحديث من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن تلاهم إلى عصره وجعلهم على إحدى وعشرين طبقة، طبع فى أربعة أجزاء بالهند، ويعتبر من أنفس كتب الطبقات<sup>(٦)</sup> .

٧- (طبقات الحفاظ) لجلال الدين السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ) ذكر فيه تراجم الحفاظ موجزة وقد طبع سنة (١٨٣٣م) بغوطا .

وغير هذه الكتب كثير، مما ألف فى طبقات علماء المذاهب، وطبقات حفاظ البلدان ككتاب المحدثين بأصبهان والواردين عليها لعبد الله محمد الأصبهانى، وطبقات علماء أفريقيا لأبى العرب محمد بن أحمد التميمى المغربى الأفريقى، وغير ذلك .

\*\*\*

(١) الأعلام ص ٣٦١ ج٢ ويوجد فى دار الكتب المصرية جزء من نسخة فيه من سكن المدينة من الصحابة والتابعين فى (٢٠٩) ورقات، مسطرتها بين ٢١ و٢٢ سطرًا: ٢٩ × ٢٠ سم نقلاً عن نسخة قديمة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٤٧٥) مصطلح) .

(٢) معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج١٢ .

(٣) معجم المؤلفين ص ١٧٣ ج٩ .

(٤) الأعلام ص ١٥٠ ج١ .

(٥) الأعلام ص ٣٠٦ ج٦ .

(٦) انظر: هذه النسخة فى قسم الإرشاد من دار الكتب المصرية باسم (تذكرة الحفاظ) .

## ثالثاً: كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب:

وكما صنف العلماء تراجم الرواة وأحوالهم رأوا أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة للدفع الالتباس، ومنع الوقوع في الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، فصنفوا كتباً كثيرة في الكنى والألقاب والأنساب، وهذه الكتب أكثر من أن تحصى، وقد جمعت منها نيماً وثلاثين كتاباً، سأذكر أشهر ما ألف في الأسماء والكنى والألقاب، ثم أتبعها بأشهر كتب أنساب الرواة.

### أ- كتب في الأسماء والكنى والألقاب:

١- (الأسماء والكنى) في ثمانية أجزاء<sup>(١)</sup> لعلی بن عبد الله بن جعفر المديني (المولود ١٦٦هـ والمتوفى سنة ٢٣٤هـ).

٢- (الأسماء والكنى)<sup>(٢)</sup> للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ).

٣- (الكنى) ألف بهذا الاسم كثير من أئمة الحديث في ذلك العصر، منهم الإمام البخاري والنسائي وعبد الرحمن بن أبي حاتم وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

٤- (كتاب الكنى والأسماء)<sup>(٤)</sup> للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٤ - ٢٦١هـ).

٥- (الكنى والأسماء) لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصاري الدولابي (٢٣٤ - ٣٢٠هـ) وهو كتاب جامع مشهور، طبع في جزأين بالهند سنة (١٣٢٢ - ١٣٢٣هـ)<sup>(٥)</sup>.

٦- (الأسماء والكنى)<sup>(٦)</sup> في أربعة عشر مجلداً للحاكم الكبير أبي أحمد محمد ابن محمد بن أحمد النيسابوري الحافظ المحدث (٢٨٥ - ٣٧٨هـ).

(١) معجم المؤلفين ص ١٣٢ ج٧.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠.

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة ص ٩٠، ٩١.

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في (٧٦) ورقة متوسط مسطرتها ٢١ سطراً تحت رقم (٢٢١) طلعت: مصطلح).

(٥) الجزء ان على التوالي (١٧١/٢٠٣) صفحة سوى (٩٤) صفحة فهارس وتوجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٦٠) مصطلح).

(٦) الرسالة المستطرفة ص ٩١، والأعلام ص ٢٤٤ ج٧، ومعجم المؤلفين ١٨٠ ج١١.

٧- (فتح الباب في الكنى والألقاب) لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني (٣١٠ - ٣٩٥هـ) نشره وعلق عليه (وى دونج) بألمانيا سنة (١٩٢٧).

٨- (المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث) و(المشتبه في النسبة) للإمام النسابة أبي محمد عبد الغنى بن سعيد الأسدي المصري شيخ حفاظ الحديث بمصر في عصره (٣٣٢ - ٤٠٩هـ) وقد طبع الكتابان في مجلد واحد في (٢١٦) صفحة بالهند سنة (١٣٢٦هـ).

٩- (تكملة المؤلف والمختلف) و(الأسماء والألقاب)<sup>(١)</sup> و(الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة)<sup>(٢)</sup> و(تلخيص المتشابهة في الرسم في أسماء الرواة)<sup>(٣)</sup> لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ).

١٠- (الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) للأمير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله بن جعفر: ابن مأكولا البغدادي (٤٢١ - ٤٨٦هـ)، وهو كتاب قيم، ألفه بعد أن اطلع على كتب البغدادي وعلى كتابي عبد الغنى بن سعيد الأزدي<sup>(٤)</sup>.

قال ابن خلكان: لم يوضع مثله<sup>(٥)</sup>.

١١- (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب)<sup>(٦)</sup> لأبي الفرج عبد الرحمن ابن علي (ابن الجوزي) (٥٠٨ - ٥٩٧هـ).

(١) الأعلام ص ١٦٦ ج١، وبالنسبة (لتكملة المؤلف والمختلف) انظر: (الإكمال في رفع الارياب) لابن مأكولا.

(٢) توجد نسخ مخطوطة منه ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت الرقم (١٥٥٨ حديث).

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣١) مصطلح) وقد رتب الكتاب على خمسة فصول، وبعد أن انتهى من هذا الكتاب أتبعه بكتاب ثان ضمنه ما يتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم، والكتابان في مجلد واحد الأول (٢٨٠) ورقة والثاني في (٦٨) ورقة ومسطرته ٢٢ سطراً: ٥ و ٢٤ × ١٧ سم.

(٤) انظر: مقدمة الكتاب في النسخة المخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٨) مصطلح) وهي في جزأين الأول (٣١٩) ورقة والثاني (٣٣٤) ورقة، ورتبه على الحروف الهجائية وجعل لكل اسم من الحرف باباً.

(٥) الأعلام ص ١٨٣ ج٥.

(٦) الرسالة المستطرفة ص ٩٠.

١٢- (المستدرك على الإكمال لابن مأكولا) للحافظ محمد بن عبد الغنى البغدادي (ابن نقطة) المتوفى سنة (٦٢٩هـ)<sup>(١)</sup>.

١٣- (المشبه في أسماء الرجال) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) وهذا الكتاب ثمرة الجهود التي بذلها من سبق الذهبي في هذا الباب، مما جاء في كتب الأزدي وابن مأكولا وابن نقطة، وشيخ الذهبي أبي يعلى الفرضى وغيرهم، وأضاف إلى ذلك ما وقع له أو تنبه إليه<sup>(٢)</sup>، وطبع هذا الكتاب في ليدن سنة (١٨٦٣ و ١٨٨١م) في (٦١٢) صفحة، وقدم له الدكتور (دوجونغ). وللذهبي أيضاً (المقتنى في سرد الكنى) وهو مختصر كتاب الحاكم الكبير بعد أن زاد الذهبي عليه ورتبه على حروف المعجم<sup>(٣)</sup>.

١٤- (تحفة ذوى الأرب في مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب الدهشة محمود بن أحمد الهمداني الفيومي الأصل، (٧٥٠ - ٨٣٤هـ) وقد ألفه سنة (٨٠٤هـ) وطبع بليدن سنة (١٩٠٥م) مع مقدمة بالألمانية.

١٥- (نزهة الألباب في الألقاب) للحافظ أبي الفضل شهاب الدين: ابن حجر الكنانى العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) جمع فيه ما لغيره وزاد أشياء كثيرة مما فات سلفه<sup>(٤)</sup>.

### ب- وأما كتب الأنساب فأشهرها:

١- (ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن فى بعضه زيادة حرف واحد)<sup>(٥)</sup> لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت، الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ).

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٠) مصطلح) فى ٦٠ ورقة مسطرتها: ٢٧ سطراً: ٢٨ × ٢٠ سم.

(٢) ذكر الذهبي هذا فى مقدمته. ولابن ناصر الدين محمد بن أبى بكر الدمشقى (٧٧٧ - ٨٤٢هـ) كتاب (التوضيح لكتاب المشبه فى الرجال) للذهبي يوجد منه الجزء الأول فى دار الكتب المصرية تحت رقم (ب) (٢٣٢٩١) مصوراً عن النسخة الخطية فى مكتبة سوهاج تحت رقم (١١١) حديث).

(٣) الرسالة المستخرقة ص ٩١.

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٣٦) مصطلح) فى (٧٠) ورقة مسطرتها ٢٣ سطراً: ٥, ٢٥ × ١٧ سم. وقد رتبه على أبواب ثلاثة.

(٥) توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية ملحقه بكتاب (تلخيص المشابه) فى (٦٧) ورقة تحت رقم (٣١) مصطلح).

٢- (الأنساب المتفحة في الخط المتماثلة في النقط والضبط) للشيخ محمد بن طاهر المقدسى (٤٨٨- ٥٠٧هـ) وذيل تلميذه محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى الأصبهاني (المتوفى سنة ٥٨١هـ) عليه وطبعاً معاً في مجلد واحد بليدن سنة (١٨٦٥م).

٣- (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة، ورواة الآثار) لأبي محمد عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي المعروف بالرشاطي (٤٦٦- ٥٤٢هـ) وهو كتاب قد أحسن فيه وأجاد، وتلقاه عنه الناس<sup>(١)</sup>.

٤- (الأنساب) لتاج الإسلام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر التميمي السمعاني صاحب التصانيف الكثيرة (٥٠٦ - ٥٦٢هـ) ذكر فيه أنساب الرجال، وذكر لمن يترجم له سيرته وقول الناس فيه من جرح أو تعديل، وشيوخه ومن روى عنه، ورتبه على حروف المعجم. قدم له المستشرق (مارج ليوس) وطبع بالزنكروغراف سنة (١٩١٢م) بمدينة ليدن<sup>(٢)</sup>.

٥- (اللباب) في ثلاثة مجلدات لعلي بن محمد الشيباني الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه. وقد طبع في ثلاثة أجزاء بمصر سنة (١٣٥٦ - ١٣٥٩هـ)<sup>(٣)</sup>.

٦- (نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان)<sup>(٤)</sup> لمحمد بن محمود محب الدين: ابن النجار (٥٧٨ - ٦٤٣هـ).

٧- (الاكتساب في تخليص كتب الأنساب) للمقاضى قطب الدين محمد ابن محمد الخيضرى الشافعى (٨٢١ - ٨٩٤هـ) وهو مختصر كتاب أنساب السمعاني وضم إليه ما عند ابن الأثير والرشاطي وغيرهما<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) الرسالة المستطرفة ص ٩٤.

(٢) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٣٦ تاريخ).

(٣) وقد لخص السيوطى اللباب فى كتابه (لب اللباب فى تحرير الأنساب) وطبع فى ليدن سنة (١٨٥١م).

(٤) انظر: الأعلام ص ٣٠٧ ج٣ وقارن بالرسالة المستطرفة ص ٩٤.

(٥) انظر: الرسالة المستطرفة ص ٩٤.

## رابعاً: كتب فى الجرح والتعديل:

إن ظهور هذا النوع من المصنفات كان نتيجة حتمية لجهود النقاد، ودراساتهم أحوال الرجال من حيث قبول أخبارهم أو عدم قبولها، وقد رأينا القوانين التى طبقها النقاد على كل راو لمعرفة حاله، وعرفنا سموهم ونزاهتهم فى نقدهم، قال الذهبى: (وقد ألف الحفاظ مصنفات جملة فى الجرح والتعديل، ما بين اختصار وتطويل، فأول من جمع كلامه فى ذلك الإمام الذى قال فيه أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينى مثل يحيى بن سعيد القطان، وتكلم فى ذاك بعده تلامذته يحيى ابن معين، وعلى بن المدينى، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن على الفلاس، وأبو خيثمة، وتلامذتهم كأبى زرعة، وأبى حاتم، والبخارى، ومسلم، وأبى إسحاق الجوزجاني السعدى، وخلق من بعدهم، مثل النسائى، وابن خزيمة، والترمذى، والدولابى، والعقيلى، وله مصنف مفيد فى معرفة الضعفاء، ولأبى حاتم بن حبان كتاب كبير... ولأبى أحمد بن عدى كتاب الكامل)<sup>(١)</sup>.

والمصنفون فى هذا العلم لهم مناهج مختلفة فى التصنيف، فمنهم من ذكر فى فى مصنفه الكذابين والضعفاء، ومنهم من أضاف على ذلك فذكر بعض الموضوعات، ومنهم من صنف فى الثقات فقط، ومنهم من صنف فى الضعفاء والثقات معاً، ولذلك نستعرض فى هذه الفقرة ما صنف فى الضعفاء أو الثقات، أو ما صنف فىهما، ونفرد فى فقرة خاصة ما صنف فى الموضوعات. وقد جمعت فى موضوع الجرح والتعديل نيفا وثلاثين كتاباً، أذكر أشهرها:

١- (الجرح والتعديل)<sup>(٢)</sup> للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ).

٢- (الضعفاء)<sup>(٣)</sup> لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى الزهرى

(- ٢٤٩هـ).

(١) انظر: ميزان الاعتدال ص ٢ ج ٢.

(٢) معجم المؤلفين ص ٩٦ ج ١.

(٣) الأعلام ص ٩٢ ج ٧.

٣- (الجرح والتعديل) والضعفاء<sup>(١)</sup> لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني المتوفى سنة (٢٥٩هـ).

٤- (الضعفاء) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) وقد طبع بالهند مع التاريخ الصغير للبخاري، وطبع معه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي. وذلك سنة (١٣٢٥هـ).

٥- (تاريخ) في الثقات والضعفاء لأحمد بن أبي خيثمة النسائي البغدادي (١٨٥-٢٧٩هـ) قال فيه الخطيب البغدادي لا أعرف أغزر فوائد منه<sup>(٢)</sup>.

٦- (تاريخ الضعفاء والمتروكين) للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) وقد رتبته على حروف المعجم، وطبع ضمن (مجموعة بالهند سنة ١٣٢٥هـ).

٧- (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الحنظلي الرازي (٢٤٠-٣٢٧هـ) وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التي وصلتنا ومن أغزرها فائدة، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم تاريخ الحديث. لهذا لا بد من بسط القول فيه.

فقد تتلمذ ابن أبي حاتم علي والده أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي وعلي أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي وهما من طبقة البخاري، فأخذ عنهما علم الجرح والتعديل، وأفاد منهما كثيراً في تصنيف كتابه، وحرص على استيعاب نصوص أئمة العلم في الحكم على الرواة بتعديل أو جرح، وزاد فوائد وزيادات في كثير من التراجم يندر وجودها عند من سبقه، كما استدرك على البخاري في بعضها، وقد جمع كتابه نصوص أبيه في الجرح والتعديل، ونصوص أبي زرعة، ونصوص البخاري، إلا أنه استغنى عن نصوص البخاري بموافقة أبيه للبخاري في غالب تلك الأحكام، وتتبع ابن أبي حاتم نصوص الأئمة، فأخذ عن أبيه وعن

(١) معجم المؤلفين ص ٢٨ ج ١ وقارن بالرسالة المستطرفة ص ١١٠.  
(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٧، ويقع في ثلاثين مجلداً صغاراً واثني عشر كبلراً.

محمد بن إبراهيم بن شعيب ما روياه عن عمرو بن الفلاس مما قاله باجتهاده، ومما يرويه عن عبد الرحمن بن مهدي (١٣٥ - ١٩٨هـ) ويحيى بن سعيد القطان (١٢٠ - ١٩٨هـ) مما يقولانه باجتهادهما، ومما يرويانه عن سفيان الثوري (٩٧ - ١٦١هـ) وشعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠هـ)، وأخذ عن صالح بن أحمد بن حنبل ما يرويه عن أبيه، وأخذ عن صالح أيضاً وعن محمد بن أحمد بن البراء ما يرويانه عن علي بن المديني (١٦١ - ٢٣٤هـ) مما يقوله باجتهاده ومما يرويه عن سفيان ابن عيينة (١٠٧ - ١٩٨هـ) وعن عبد الرحمن بن مهدي وعن يحيى بن سعيد القطان، واتصل بجميع أصحاب الإمام أحمد ويحيى بن معين (١٥٨ - ٢٣٣هـ) فروى عن أبيه عنهما، وعن أبيه عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وروى عن غيرهم، كما أخذ عن عباس الدوري (المتوفى سنة ٢٧١هـ).

لهذا كان كتابه زاخراً بنصوص الأحكام التي أصدرها جهايزة علم الجرح والتعديل، وبهذا يفوق كتاب التاريخ الكبير للبخاري، لأنه قلما ذكر البخاري في تاريخه جرحاً وتعديلاً، وهذا لا ينقص من قيمة كتاب البخاري، فربما فعل ذلك عمداً لأنه ألف في الضعفاء كتاباً منفرداً.

ورتب ابن أبي حاتم كتابه على حروف المعجم بالنسبة للحرف الأول من الاسم فقط، ففي باب الألف نرى باب أحمد ثم باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ثم باب أيوب ثم باب آدم وهكذا، وإذا كثرت التراجم في الباب رتبها على أبواب ذيلية بحسب أول أسماء الآباء، فقدم في الأحمدين من أول اسم أبيه ألف ثم من أول اسم أبيه باء . . . وإذا كثرت التراجم في الباب رتبهم باعتبار اسم الأب والجد، كما فعل في من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله، فذكر أولاً من أول اسم جده ألف ثم من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله، وأول اسم جده باء وهكذا وجعله في أربعة أجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة ذكر كل راو وما قيل فيه بأسانيد صحيحة. وجعل للكتاب مقدمة هي مفتاح له، في جزء مفرد سماها (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل)، وهي عظيمة جداً، تكلم فيها حول هذا العلم وترجم لجهايزته ترجمة وافية، فكان الكتاب فريداً في فنه، لا يستغنى عنه عالم في الحديث

وعلموه. وهو صورة صادقة عن مؤلفات لا ندري عددها كانت في ذلك العصر، لم يكتب لها الوصول إلينا، وقد طبع هذا الكتاب بالهند (سنة ١٣٧٣هـ) في تسعة مجلدات، مجلد للمقدمة، ومجلدان لكل جزء من أجزائه الأربعة<sup>(١)</sup>.

٨- (الثقات)<sup>(٢)</sup> لأبي حاتم بن حبان البستي، (المتوفى سنة ٣٥٤هـ) ولكنه تساهل في توثيق بعض من ذكرهم، ولهذا وجب التنبيه إلى أن توثيق ابن حبان دون توثيق غيره.

٩- (الكامل)<sup>(٣)</sup> في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث. للحافظ الكبير أبي أحمد عبد الله بن محمد بن عدى الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ) ذكر في كتابه هذا كل من تكلم فيه ولو كان من رجال الصحيحين، وذكر في ترجمة كل واحد حديثاً فأكثر من غرائب ومناكيره، وهو أكمل كتب الجرح وعليه الاعتماد فيها.

١٠- (تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم)<sup>(٤)</sup> لأبي حفص، عمر ابن أحمد عثمان بن شاهين (٢٩٧-٣٨٥هـ). وقد رتبته على حروف المعجم.

١١- (المدخل) للإمام الحاكم<sup>(٥)</sup> أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ) تكلم في قسم منه عن المجروحين وبسط القول في هذا.

---

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٨١١٢) وقد حصلت مكتبة كلية دار العلوم أخيراً على نسخة منه.

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية ولكنها ناقصة والموجود يبدأ من أسماء (أتباع التابعين) وقسم من (أتباع التابعين) من الألف إلى آخر حرف الذال في (١٨٣) ورقة تحت رقم (٢٠٨) طلعت مصطلح، وقد رتب نور الدين الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) ثقات ابن حبان على حروف المعجم وسماه (ترتيب كتاب الثقات) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في مجلدين في (١٨٣/١٩٦) ورقة تحت رقم (٣٧) مصطلح.

(٣) يوجد منه في دار الكتب المصرية خمسة عشر جزءاً مخطوطاً بأرقام مختلفة تكون أجزاء مختلفة من (الكامل) لثلاث نسخ إلا أنها ناقصة وهي تحت رقم (٩٣-٩٦) مصطلح.

(٤) انظر: الأعلام ص ١٩٦ ج ٥.

(٥) طبع بحلب سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) بإشراف الشيخ راغب الطباخ.

١٢- كتاب (الضعفاء المتروكين - أو أسماء الضعفاء الواضعين)<sup>(١)</sup> لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي: ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧هـ)، وقد ذكر فيه الضعفاء الواضعين، وذكر من جرحهم من الأئمة الكبار الحافظين، ورتبه على حروف المعجم.

١٣- (ميزان الاعتدال) للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) وهو في ثلاثة أجزاء، سلك فيه مسلك ابن عدى، فذكر كل من تكلم فيه وإن كان ثقة، وذكر في ترجمة كل راو حديثاً أو أكثر من غرائب ومناكيره. طبع في مصر سنة (١٣٢٥هـ) في ثلاثة مجلدات فيها (١٠٩٠٧) تراجم، وللذهبي (رسالة في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم)<sup>(٢)</sup>.

١٤- (الاغتباط بمعرفة من رمى بالاختلاط)<sup>(٣)</sup> لبرهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي سبط ابن العجمي (المتوفى سنة ٨٤١هـ) وله أيضاً (التبيين لأسماء المدلسين)<sup>(٤)</sup> وله أيضاً (الكشف الحثيث على من رمى بوضع الحديث)<sup>(٥)</sup>.

١٥- (لسان الميزان) للحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) ضمنه الميزان وزاد عليه، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٩ - ١٣٣١هـ) في ستة أجزاء. ولاين حجر أيضاً (طبقات المدلسين) طبع بمصر سنة (١٣٢٢هـ).

١٦- (الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة) لزين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٠٢ - ٨٧٩) وهو في أربعة مجلدات<sup>(٦)</sup>.

وقد أغفلت كثيراً من المؤلفات التي استمدت من هذه الأصول خشية الإطالة.

(١) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة كتبت سنة (٧١٠) في

(١٧٦) لوحة وتشمل كل لوحة على صفتين وفيها طيارات كثيرة. تحت رقم (٣٧١) مصطلح).

(٢) طبع في مصر سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م). وقد استدرج على الذهبي في ميزانه سبط ابن العجمي في كتاب سماه (نزل الهميان في معيار الميزان) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٤٦ ب).

(٣) ذكر في كتابه هذا من اختلط في آخر عمره من الثقات، وذكر من نعتة بذلك. وقد بين أحياناً السنة التي اختلط فيها الراوى. وقد طبع بحلب (سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) بإشراف الشيخ راغب الطباخ.

(٤) طبع بحلب بإشراف الشيخ راغب الطباخ مع رسالة الاغتباط السالفة الذكر.

(٥) انظر: تحذير المسلمين من الأحايث الموضوعة على سيد المرسلين ص ١٨.

(٦) الرسالة المستطرفة ص ١١٠.

## خامساً: المؤلفات في الموضوعات:

جمعت في هذا الموضوع نحواً من أربعين مؤلفاً أذكر أشهرها:

١- (تذكرة الموضوعات) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ - ٥٠٧هـ) رتبته على حروف المعجم، وفيه يذكر الحديث ويذكر من جرح راويه من الأئمة. طبع بمصر سنة (١٣٢٣هـ).

٢- (الموضوعات في الأحاديث المرفوعات)<sup>(١)</sup> لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمداني الجوزي (المتوفى سنة ٥٤٣هـ) نص فيه على أحاديث موضوعة، وبين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها.

٣- (الموضوعات الكبرى) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ) وهو في أربعة مجلدات، تناول فيه ما ورد من الأحاديث في كتاب الكامل لابن عدي والضعفاء لابن حبان، والعقيلي والأزدي وتفسير ابن مردويه ومعجم الطبراني الثلاثة وتصانيف الخطيب، ومصنفات أبي نعيم، وغيرها من الكتب، وتساهل في الحكم على تلك المرويات بالوضع، فقد أورد فيه الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما في سنن أبي داود<sup>(٢)</sup>. لهذا كثر انتقاد العلماء له.

٤- (المغنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب) للحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر بن بدر الموصلي الحنفي (المتوفى سنة ٦٢٣هـ)<sup>(٣)</sup>.

٥- (الأحاديث الموضوعة التي يرويها العامة والقصاص)<sup>(٤)</sup> رسالة لعبد السلام ابن عبد الله (ابن تيمية) الحراني (- ٦٥٢هـ) جد الإمام أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، وله رسالتان في الموضوعات تشدد فيهما كابن الجوزي<sup>(٥)</sup>.

(١) الرسالة المستطرفة ص ١١٠.

(٢) انظر: مقدمة كتاب تنزيه الشريعة ص: ل، ويوجد الجزء الثاني من موضوعات ابن الجوزي في دار الكتب المصرية من نسخة تحت الرقم (١٤٧م) والجزء الأخير من نسخة تحت الرقم (٤٤٨ حديث) وكلاهما مخطوط.

(٣) طبع الكتاب سنة (١٣٤٢هـ) بالقاهرة.

(٤) انظر: النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٦ مجاميع).

(٥) انظرهما: تحت الرقم (٨٧ مجاميع) في قسم المخطوطات من دار الكتب المصرية.

٦- (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)<sup>(١)</sup> للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ).

٧- (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزي واستدرك عليه وزاد فيه ما ورد في تاريخ ابن عساكر، وابن النجار، ومسند الفردوس، وتصانيف أبي الشيخ<sup>(٢)</sup>. وله أيضاً (ذيل اللآلئ المصنوعة)، و(التعقبات على الموضوعات)، و(النكت البديعات).

٨- (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبي الحسن علي بن محمد (ابن عراق) الكناني (المتوفى سنة ٩٦٣هـ) وهو كتاب جامع زاد فيه علي السيوطي في لآلئه واستدرك عليه، وجعله في مقدمة وقسمين. ذكر في القسم الأول أسماء الوضاعين ومن اتهمهم بالكذب من رجال النقد، وذكر في القسم الثاني الأحاديث الموضوعة، وبين الرواة المتهمين بوضعها. وطبع الكتاب سنة (١٣٧٨هـ) بمصر في مجلدين.

٩- (تذكرة الموضوعات) لرئيس محدثي الهند جمال الدين محمد بن طاهر ابن علي الفتني (المتوفى سنة ٩٨٦هـ) وله أيضاً (قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء) طبعا (سنة ١٣٤٣هـ) بالقاهرة في مجلد واحد.

١٠- (الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع الواهي) لمحمد بن محمد الحسيني السندروسى (المتوفى سنة ١١٧٧هـ) جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهيّة والموضوعة<sup>(٣)</sup>.

(١) خصه السيوطي في كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص) في الفصل التاسع منه واستدرك عليه في الفصل العاشر. وقد طبع كتاب السيوطي سنة (١٣٥١هـ) بمصر.

(٢) انظر: مقدمة اللآلئ وقد طبع الكتاب في مجلدين بمصر سنة (١٣١٧هـ) وطبعت تعليقاته على ابن الجوزي سنة (١٨٨٦م) بالهند.

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٠م - الحديث).

١١ - (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) للقاضي أبي عبد الله محمد ابن علي الشوكاني، (١١٧٣هـ - ١٢٥٥هـ) وقد أفاد من مؤلفات السلف، إلا أنه تساهل في الحكم على بعض الأحاديث بالوضع، فأدرج فيه بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة، وقد نبه إلى هذا عبد الحى اللكنوى في كتابه (ظفر الأمانى)<sup>(١)</sup>، وطبع الكتاب سنة (١٣٨٠ - ١٩٦٠م) بمصر.

١٢ - (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين) لعبد الله: محمد البشير ظافر المالكي (-١٣٢٥هـ) ذكر فيه الأحاديث الموضوعة المشتهرة على الألسنة، ورتبها على حروف المعجم، وقدم لكتابه بتمهيد قيم جامع حول المؤلفات في الموضوعات والكتب والرسائل المشحونة بالموضوعات وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م) بمصر.

وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة في مواضيع مختلفة، تذكر الأحاديث الموضوعة في باب من أبواب العبادات أو المعاملات وغير ذلك لم أتعرض لذكرها وهي أكثر من أن تحصى.

وإلى جانب هذه المؤلفات ظهرت مؤلفات كثيرة في الأحاديث المشتهرة بين الناس، تبين منزلة الحديث من القوة أو الضعف، أو الوضع، ومن أشهر هذه الكتب:

١ - (التذكرة في الأحاديث المشتهرة) لبدر الدين الزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)<sup>(٢)</sup>.

٢ - (اللائئ المثورة في الأحاديث المشهورة، مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع) للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)<sup>(٣)</sup>.

٣ - (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) للحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٨٣١ - ٩٠٢هـ) رتبه على حروف المعجم، كما رتبه على الأبواب وهو كتاب جيد مفيد طبع سنة (١٣٧٥ - ١٩٥٦م) بمصر.

(١) انظر: الرسالة المستطرفة ص ١١٤.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١٤٣.

(٣) انظر: تحذير المسلمين للبشير ظافر ص ١٥.

وقد أغفلت كثيراً من الكتب التي ألفت في الأحاديث المشتهرة، مما لخصه الخلف من كتب السلف، فلم أذكر مؤلفات السيوطي، والسمهودي، والمنوفي، والخليلي، والغزالي، والعجلوني الجراحي، وابن جبار الله، والبيروني وغيرهم. مكتفياً بأمهات الكتب.

تلك أشهر الكتب التي تناولت موضوعنا، وأما الكتب التي ألفت في مصطلح الحديث وعلومه وآراء العلماء فيها، والمقبول من الحديث والمردود، وغير ذلك مما تناولته كتب المصطلح الكثيرة المنظوم منها والمنثور - فهي تفوق الحصر، ومن النادر أن نرى محدثاً ليس له مصنف أو رسالة يتناول فيها علم مصطلح الحديث أو بعضه.

كما ألفت كتب كثيرة في علل الحديث وغريبه ومختلفه<sup>(١)</sup>، ومن يطلع على مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق وغيرهما من المكتبات الإسلامية يجد كنوزاً علمية نادرة ساهمت في حفظ الحديث سنداً ومتناً، وبينت صحيحه من سقيم، وقد كانت تلك المؤلفات نتيجة لجهود العلماء على مر السنين، وستبقى إلى ما شاء الله، لأنها الحصن المنيع لحماية السنة الطاهرة المفسرة للكتاب الكريم. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

\*\*\*

(١) انظر: الرسالة المستطرفة التي ضمت معظم ما ألف في الحديث وعلومه.